في الواقع إن الموت يعتبر الحقيقة الوحيدة والأكيدة التي يتفق جميع البشر على اختلاف ألوانهم وأعراقهم ومعتقداتهم وأجناسهم ودياناتهم ، وبرغم عدم اجتماعهم على حقيقة أو ظاهرة عملية أو اجتماعية أو حتى دينية ... ، إلا أنهم اجتمعوا على حقيقة وحتمية الموت لكل بشر ، بل لكل كائن حي ، لذا يبقى الموت هو الحقيقة التي لا جدال عليها ، والحقيقة المؤكدة أنه لا يوجد حدث عالمي تُجمع عليه البشرية نظير الموت .

ويحمل الموت في طبيعته التناقض ، حيث يجمع بين "اليقين" و "عدم اليقين" ، فالإنسان يعرف أنه سيموت حتماً ، لكنه في ذات الوقت لا يعرف مطلقاً الوقت الذي يموت فيه ، حتى أن الفيلسوف باسكال كتب معبراً عن هذه الحقيقة قائلاً :"إن كل ما أعلمه هو أنه قد قضي علي بالموت ، ولكن ما أجهله أشد الجهل إنما هو هذا الموت نفسه باعتباره حدثاً لا سبيل إلى الخلاص منه ".

ومن طبيعة الموت أيضاً أنه "حد" أو "نهاية" لعالم عشناه ونعرف الكثير عنه غير أن هذه الطبيعة المميزة للموت تلقي بنا بالضرورة إلى ما وراء هذا الحد ، فالذي يرى طيف الموت من بعيد هو الذي يندفع بكل قوته ليعب من نهر الحياة ويرى جمال الحياة ويؤمن بمستقبل الحياة ويركب المخاطر في سبيل الحياة ليقوم بكل انجازات الحياة .

هذه العلاقة التي ربطت بين الموت والحياة جعلت الكثير من الدارسين يعكفون على دراسة هذه الظاهرة ، وهل تنتهي الحياة بالموت ، أم أن الموت يمثل بداية لحياة أخرى ؟ ، هذه الدراسات التي تحولت فيما بعد لدراسة موضوع "الخلود".

ويضرب الموت بجذوره التاريخية حتى يكاد يكون مرادفاً للحياة ذاتها ، فمنذ بدء الخليقة حيث خلق الله الإنسان ، آدم وحواء ، ومنحهما نعمة الحياة ، ووضعهما في جنة أعد لهما فيها من الخيرالت وسبل الحياة كل شئ ، ومع أن الله سمح للإنسان أن يتمتع بكل ما خلقه وصنعته يداه ، بما في ذلك التمتع بالأكل من ثمر شجرة الحياة ، لكنه حذره من الأكل من شجرة واحدة ، قائلاً :"من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً ، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت " ، ولئن سقط الإنسان في فخ الحية القديمة وتطلع لتلك الشجرة المُنهى عنها ، وأكل منها ، حتى كان لابد لله وأن يحقق عدله بتوقيع العقوبة على آدم لعصيانه وصية الله ، وكان عقاب الله جازماً حيث شمل عقابه كلاً من الحية والرجل والمرأة .

وكما يرى بعض الدارسين أن ثمة ارتباطاً وثيقاً بين خطيئة آدم وممارسته لحريته وقدرته على الاختيار بين طاعة الله وعصيانه ، وكنتيجة لتفعيل الإنسان الأول لحريته واختياره عدم طاعة الله ، فعرف للمرة الأولى قابليته للموت والفناء ، وهذا يفسر ارتباط الموت في كثير من التفسيرات الدينية بالحرية .

والسؤال الذي يطرح نفسه هو "هل حتمية الموت تعني الفناء الشامل؟" ، وكإجابة على هذا التساؤل يذهب البعض إلى أن هناك قطاعا كبيراً من البشر يعتقدون اعتقاداً جازماً في حياة أخرى بعد

الموت ، فكأن الموت في هذه الحياة الدنيا ليس نهاية كل شئ ، وإنما هو نهاية لضرب من الحياة وبداية لضرب آخر منها .

ماهية وتعريف الموت

رغم أن الناس يعرفون الموت والحياة بالتجربة والمشاهدة إلا أن تعريف الموت مثل تعريف الحياة يكتنفه الكثير من الصعوبات ، وتوجد بعض التعريفات العلمية لمفهوم وظاهرة الموت ، فقد يُقال أن الموت هو :"التوقف الدائم للوظائف الحيوية في أجسام الحيوانات والنباتات" ، أو هو "ظاهرة التوقف عن الحياة" ، ومع التقدم العلمي واكتشاف لدورة الدموية تبين أن الموت هو توقف لا رجعة فيه في الدورة الدموية ؛ وبما أن الدماغ لا يستطيع أن يبقى حياً سوى بضع دقائق ـأربع دقائق تقريباً ـ بعد توقف الدورة الدموية ، فإن الدماغ يعتبر أول الأعضاء تأثيراً وموتاً نتيجة توقف ضخ القلب للدم .

إن الإنسان اعتاد على فهم أن الموت ما هو إلا توقف الحياة ، وهذا يتم بمفارقة الروح للجسد الإنساني مفارقة نهائية أي انفصال الروح عن الجسد انفصالاً يؤدي لتوقف أجهزة الجسد عن العمل ، كما يُعرف الموت على أنه عودة روح الإنسان إلى بارئها ، أي انتقال روح الإنسان من الحياة في العالم الدنيوي الأرضي ، إلى العالم الآخر .

ويُقسم البشر الموت تبعاً لوقت حدوثه إلى نوعين :

ـ الموت المُفاجئ : وهو الموت المباغت الذي يأتي الإنسان وهو في تمام الصحة والعافية ، وفيه تفارق الروح الجسد وهو في كامل صحته ، ومما ينبغي قوله أن الموت كله فجائي أي يحدث في وقت غير معلوم للإنسان ، وعليه فحتى الموت المتوقع يعتبر فجائياً أيضاً لعدم العلم بموعده .

ـ الموت المتوقع : وهو الموت الذي يتوقعه الإنسان لوجود سبب من أسباب الموت مثل المرض ومثل الحرب .

ماذا يُعلم العهد القديم عن بعد الموت ؟

كان العبرانيون في العهد القديم يعتبرون أن الموت هو النهاية الطبيعية للحياة ، ومع أن الموت هو الخاتمة الطبيعية للحياة ، إلا أنه لم يُعتبر باباً إلى حياة أفضل ، ويبقى أمراً غير مقبول على الدوام إذ يقطع الإنسان عن المجتمع البشري وأسرته وأصدقائه .

ويمكننا أن نلحظ تطوراً متلاحقاً ومتداخلاً في آن معاً في الفكر اليهودي عن الموت وعالم ما بعد الموت ، وعلاقة الأحياء بالأموات ، ولأن الإنسان القديم كان ينظر إلى الموت على أنه9 انقطاع لوجوده وكيانه الإنساني ، فلا حياة مستمرة بعد الموت ، وبذلك يعتبر الموت من هذه الزواية شكلاً من اشكال الفناء للوجود الإنساني .

ولقد تأثر اليهودي القديم بمثل هذه النظرة المتشائمة للموت ولانتهاء الوجود الإنساني ، لكن ما يميز اليهود القدماء عن سائر الشعوب المحيطة بهم إيمانهم بأن الإنسان عندما خلقه الرب القدير كان قد نفخ في أنفه نسمة حياة "وجبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة . فصار آدم نفساً حية" (تكوين2:7) ، هذه النسمة تتردد في جسد الإنسان وتجري في عروقه ودمه ، يقول الكتاب : "نفس الجسد هي في الدم" (لاويين17:11) ، فليس من المعقول أن تنتهي هذه النفحة وتفني ؛ لذلك فقد اعتقد العبرانيون القدامى بأن الإنسان لا يمكن أن يفنى ولا يمكن أن تنتهي حياته بالموت ، وأن كياناً يتبقى منه بعد موته ، هذا الكيان له شبه الجسد المادي ، وإن كان هيولياً ، وقد أطلقوا على هذا الكيان الهيولي اسم "الرفايم" ، أي "الأخيلة" و "الأشباح" ، والعهد القديم يذخر بالأمثلة التي تؤكد هذا الاعتقاد .

هذا الاعتقاد بأن الموتى يتمتعون بجسد هيولي شبحي ، وبمحضر سري وقدرة فائقة للتعامل مع عالم البشر ، لم يكونوا يتمتعون بها من قبل ، شجع القدماء على الاعتقاد بأهمية تكريم الموتى ، وهو ما يُسمى الآن ب"عبادة الأسلاف" ، و "استشارة الموتى" ، وعقد المعاهدات مع الموتى في محاولة لاسترضاء أرواحهم ، مثل تقديم خصلة من الشعر إكراماً لهم ، أو إحداث جرح قطعي في جسم الإنسان ليكون الدم شاهداً وعلامة عهد بين الإنسان الحي وروح الميت ، وبالدراسة التاريخية نُدرك مدى اختلاط شعب الله بالشعوب المحيطة به ، وتأثره ببعض معتقداتها حيناً من الأحيان ، الأمر الذي حذر منه الله شعبه عبر شرائع العهد القديم ، فنقرأ مثلاً ما جاء في سفر اللاويين "ولا تجرحوا أجسادكم لميت"(لاويين19:28) .

وقد قسم العبرانيون الكون إلى طوابق ثلاثة :

1)السماء إلى فوق ، وهي ملك لله ، "السماوات سماوات للرب" (مزمور115:16) .

2)الأرض إلى أسفل ، جُعلت لبني البشر "أما الأرض فأعطاها لبني آدم" (مزمور115:16).

3)وما تحت الأرض "شيول" أو الهاوية حيث مقر سكنى المنتقلين من هذا العالم ، ولقد تم ترجمة كلمة "شيول" العبرية ـ والتي تكررت 65 مرة في أسفار العهد القديم ـ بثلاث كلمات مختلفة ، فقد تُرجمت "شيول" 31 مرة "قبر" ، وتُرجمت 31 مرة "جحيم" ، وترجمت 3 مرات "حفرة" .

ويرى لويس بيركهوف أن للكلمة العبرية "شيول" ثلاثة معانٍ : حال الموت ، الجحيم ، وهو يعود للكتاب المقدس ليؤكد على وجهة نظره ، مع أن استخدام الكلمة "شيول" كترجمة أو مرادفاً دالاً على الجحيم موضع شك .

1ـ شيول ، بمعنى حالة الموت ، أو مملكة الموت ، حيث قال يعقوب :"إني أنزل إلى ابني نائحاً إلى الهاوية " (تكوين 37:35) ، وكل الأشكال التي تُطبق على كلمة "شيول" يمكن فهمها كلها على أنها تعود على مملكة الأموات ، فلها مغاليق ، "فأين إذا آمالي ؟ آمالي من يعاينها ! تهبط إلى مغاليق الهاوية إذ ترتاح إذ ترتاح معاً في التراب" (أيوب 17 : 15- 16) ، وحالتها ظلمه وقتام "إذا رجوت

الهاوية بيتاًلي وفي الظلام مهدت فراشي" (أيوب13:17) ، وهي وحش لا يشبع ، "الهاوية والهلاك لا يشبعان "(أمثال20:27) .

2- شيول تُرجمت أحياناً "قبر" ، كما جاء في المزمور : "كمن يفلح ويشق الأرض تبددت عظامنا عند فم الهاوية " (مزمور7:141) .

3- المعنى الثالث الذي يرجحه بيركهوف لاستخدام كلمة "شيول" وهو الجحيم نراه يرتكز على ما جاء في (مزموري9 : 17 ، 55 :5) ، "الأشرار يرجعون إلى الهاوية كل الأمم الناسين الله" وإذ يتفق اليهود القدماء مع بيركهوف في الاعتقاد بوجود حياة أخرى بعد الموت ، حيث "شيول" ، إلا أن نوعية هذه الحياة بغيضة وكريهة لا رجاء فيها للإنسان ، لذلك كانت غاية اليهودي هي أن يعيش طويلاً في ملء الصحة ، وأن ينجب الكثير من النسل ، وأن يموت في سلام ، وأولاده وأحفاده ملتفون من حوله .

وتبعاً للاعتقاد اليهودي المبكر فإن "شيول" تقع في عالم سفلي تحت سطح الأرض ، وهي مكان واقعي وحقيقي ، ولها آلهتها وقوانينها ويسودها الظلام وسكانها من الأشباح يتخبطون في تعاسة ، ولأن عالم الموتى خارج حدود دائرة جبروت يهوه ، فلا سلطان ليهوه على هذا العالم السفلي ، هذا ما ألمح إليه كاتب المزمور حين قال :"لأنه قد شبعت من المصائب نفسي وحياتي إلى الهاوية دنت . حُسبت مثل المنحدرين إلى الجُب . صرت كرجل لا قوة له . بين الأموات فراشي مثل القتلى المضطجعين في القبر الذين لا تذكرهم بعد وهم من يدك انقطعوا" (مزمور88: 3 - 5) .

وكان نتيجة هذا الاعتقاد أن اليهودي المتدين يرى في الموت انفصالاً عن الله ، ولقد تطور الفكر اليهودي إلى حقيقة أن الله له كل السلطان على السموات والأرض وما تحت الأرض ، ولقد كان الدافع الحقيقي وراء تطور هذا الفكر هو إمكانية تحقيق العدالة ، فليس من المعقول أن يفلت المذنب من العقاب لأنه غادر عالم الأحياء ، لقد تحولت الهاوية من أرض الظلام والنسيان ومكان بلا معنى ولا هدف ، إلى مكان تحقيق العدالة الإلهية ، حيث الثواب والعقاب .

وكنتيجة لهذا الفكر وضح أن الهاوية لن تكون الكلمة الأخيرة في قصة الإنسان ، ومع أن العهد القديم لا يُقدم لنا جواباً شافياً عن عقيدة القيامة من الموت ، إلا أن الإيمان اليهودي كما يكشفه لنا العهد القديم يرى أن الحياة ما بعد الموت ما هي إلا ارتباط الإنسان بإلهه ، فالشركة مع الله تحمل في ذاتها قوة استمرار الحياة وخلودها .

ولقد كان لظهور عقيدة مجئ المسيا المنتظر وتحقيق ملكوته على الشعوب ، جانب هام في تطور الرجاء في فداء الموتى من الهاوية ، ففي بداية الاعتقاد بمجئ المسيا ولم شمل أبناء الأمة اليهودية ، كان السؤال الملح : وماذا يكون مصير الموتى في الهاوية في مخطط ملكوت المسيا ؟ ترى هل يتمتعون بأمجاد يوم الرب العظيم ، وتحقيق ملكوته السعيد أولئك الذين قُدر لهم أن يكونوا أحياء ساعة تحقيق الملكوت ؟ وماذا عن مكافأة الذين سبقوهم إلى "شيول" ،ه بعد أن قاسوا في سبيل إيمانهم وعقيدتهم وشركتهم بالله ؟هل يكون نصيبهم الحرمان ؟ وكيف يكون رجاء المسيا كاملاً

وملكوته شاملاً إن كان أولئك الذين لم يضحوا بشئ يسعدون ويستمتعون وينعمون ، بينما الذين ضحوا بكل شئ لا ينالون من أمجاده شيئاً ؟ أضف على ذلك ، ألا تقتضي عدالة ذلك الملك العادل ، أن يقوم الأشرار إلى قيامة الدينونة ليحاسبوا عما اقترفوه من ذنوب ؟

إن الباحث المدقق لا يرى أن عقيدة القيامة كانت عقيدة شاملة في العهد القديم ، فهي لم تُذكر إلا متأخراً في التاريخ الديني اليهودي ، وحتى حينما يتكلم دانيال عن قيامة ، فإنه يقول "وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي" لكنه لا يقول أن الاعتقاد بأن الأمم والشعوب الوثنية سيظلون أمواتاً وأشباحاً لا يقومون بل هلكوا وانقطع ذكرهم وباد اسمهم "هم أموات لا يحيون . أخيلة لا تقوم . لذلك عاقبت وأهلكتهم وأبدت كل ذكرهم" (إشعياء 14:26) ، ورويداً رويداً يتأكد الإيمان بأن هناك بعد الوجود في "شيول" ، قيامة ودينونة ، للمكافأة أو العقاب .

لكن طائفة أخرى من اليهود ، وم من يطلق عليهم طائفة الصدوقيين تمسكوا بإيمانهم بعدم وجود قيامة من الهاوية ، واعتقدوا بفناء الإنسان أو على الأقل عدم قيامته من الهاوية ، فالهاوية في إيمانهم تبقى المحطة الأخيرة في حياة الإنسان .

الموت في المفهوم المسيحي

إن الحياة الحقيقية هي الحياة المرتبطة بالله ولكن منذ أن دخلت الخطية إلى العالم ملك الموت على العالم ، فعندما فصل آدم نفسه عن الله أدى هذا الانفصال إلى الموت وهكذا سار البشر في خطوات آدم (رومية 23:3 ، 12:5) ، مما يجعل الموت حتمياً على كل إنسان "لأن أجرة الخطية هي موت" (رومية23:6 ، عبرانيين 27:9) ؛ ولذلك فالموت ليس مجرد شئ يحدث للناس في نهاية حياتهم على الأرض بل هو أيضاً الحياة بعيداً عن الشركة مع الله .

لذا يتفق المسيحيون على أنه من المفاهيم الأساسية للموت هو مفارقة الروح للجسد ، حيث تنطلق الروح إلى مكانها اللائق بها ، إما إلى مكان الأبرار أو مكان الأشرار ، بينما يعود الجسد إلى التراب الذي أُخذ منه .

ولقد تعددت المفاهيم المسيحية عن الموت فقد ذكر الموت بصوره وأنواعه في مواضيع عدة عبر أسفار الكتاب المقدس ، فيتكرر ذكر الموت الطبيعي في نحو (63 آية) ، وما يُسمى بالموت الروحي في (29 آية) ، وما يُسمى بالموت الأبدي في (43 آية) ، وموت القديسين في (42 آية) وموت الأشرار في (44 آية) ، والموت الجسدي في (6 آيات) ، والموت العقابي في (20 آية) ، وموت المسيح في (56 آية) ، وبالموت عن الخطية في (4 آيات) ، الموت الثاني في (4 آيات) فضلاً عن آيات أخرى تتعلق بموضوع الموت في (24 آية) ، أي أن الموت بأنواعه وصوره جاء ذكره في الكتاب المقدس نحو (331 مرة) .

أولاً : الموت الطبيعي أو موت الخطية : الموت الطبيعي هو انحلال الجسد وانفصال ما نسميه النفس أو الروح عن الجسد وهو الموت الذي كان ولابد أن يحدث ، لأن الإنسان خُلق من العدم ، ولذلك فهو ليس خالداً بالطبيعة ، وموت الإنسان الطبيعي ليس مثل موت الخطية الذي جاءت به الخطية فساد الموت على النفس الإنسانية ، وجميع البشر لابد وأن يختبروا هذا الموت .

وبالموت تنتهي جميع نشاطات الإنسان الأرضية لذا يكتب سفر الجامعة ناصحاً الإنسان بالقول :"كل ما تجده يدك لتفعله فافعله بقوتك لأنه ليس من عملٍ ولا اختراع ولا معرفة ولا حكمةٍ في الهاوية التي أنت ذاهب إليها" (جامعة 10:9) ، ويتم التعبير عن الموت الطبيعي بمصطلحات كتابية كثيرة منها ما يطلقه عليه الرسول بولس وهو نقض الخيمة الأرضية ، وبيت خيمتنا الذي يُشير إليه الرسول بولس يُقصد به ثلاثة أنواع من المنازل نسكنها مادمنا في هذه الحياة ، وكلها لابد وأن تنتهي وتُنقض : الأول منها هو المنازل المادية التي نسكنها والتي مهما بذلنا الجهد في تحسينها وتزيينها لابد وأن نتركها ؛ والثاني منها ، هو جسدنا المائت القابل للفساد ، بل هو بمنزلة المظلة ، أو الخيمة ، يقول الرسول بطرس :"عالماً أن خلع مسكني قريب كما أعلن لي ربنا يسوع المسيح أيضاً" (2بطرس 14:1) ، أي أن جسدنا ما هو إلا خيمة يستظل بها المغتربون في البراري ، ولهذا نحن نتنهد من ثقله ، أما العالم الأرضي الذي نعيش فيه ، فإنه يمثل المنزل الثالث ، ولابد له أن ينحل ويحترق وينتهي .

ويُعبر عن الموت أيضاً ، بالذهاب في طريق لا عودة منه ، ويصوره كاتب المزمور بالانحدار إلى أرض السكوت "ليس الأموات يسبحون الرب ولا من ينحدر إلى أرض السكوت" (مزمور 17:115) ، ويعبر عنه الرب الإله بالعودة إلى التراب كما في "لأنك تراب وإلى تراب تعود" (تكوين 19:3) ، وبالانطلاق والإطلاق ، أيضاً من المسميات التي تُطلق على الموت تعبير "إسلام الروح" كما في (لوقا46:23) ، "ونادى يسوع بصوتٍ عظيمٍ : "يا أبتاه في يديك أستودع روحي" . ولما قال هذا أسلم الروح" ؛ والإنضمام إلى الذين سبق موتهم "وانضم إلى قومه" (تكوين 33:49).

ومن أهم التعبيرات التي استخدمها الكتاب المقدس عن الموت هو "النوم" ، ومع أن الموت الطبيعي لابد وأن يجتاز بابه جميع البشر ، إلا أن الكتاب المقدس يخبرنا عن اثنين لم يختبروا الموت الطبيعي ، هما أخنوخ ، وإيليا ، حيث نقرأ عن أخنوخ "وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه" (تكوين 24:5) ، أيضاً نقرأ عن إيليا نبي الله ، الذي صعد دون أن يجتاز الموت الطبيعي ، يقول الكتاب :"وفيما هما يسيران ـ إيليا وأليشع ـ ويتكلمان إذا مركبة من نار وخيل من نار فصلت بينهما ، فصعد إيليا في العاصفة إلى السماء" (2ملوك11:2) ، وما هاتين الحادثتين إلا عربون لهزيمة الموت والنجاة منه ، وهو ما حدث بشخص الرب يسوع المسيح ، "الذي أبطل الموت وأنار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل" (2تيموثاوس10:1) .

ينتهي سلطان الموت الطبيعي على الأرض لكل الذين يحتمون في المسيح ويؤمنون بعمله ، أما الموت الذي قد تسبب فيه آدم بالسقوط وكسر الوصية ، هو ما يُعرف بموت الخطية ، ولما سقط آدم وأغوي كان لابد من تنفيذ حكم الموت فيه عقاباً له ، فكانت كلمة الرب له : "لأنك سمعت لقول

امرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلاً : لا تأكل منها ملعونة لأرض بسببك . بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك .. بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها . لأنك تراب إلى التراب تعود" (تكوين 3 :17، 19) .

ثانياً : الموت الروحي : الموت الروحي أي انفصال نفس الإنسان روحياً عن الله ، ولأن الله هو مصدر الحياة ، فعند انفصال الإنسان عن الله مصدر الحياة يموت روحياً ، وقد حذر الله آدم قائلاً : "من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً . وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت" (تكوين17:2) ، لكن آدم لم يمت يوم سقط وأخطأ ، بل عاش بعد طرده من الفردوس حياة طويلة ، حيث نعلم من الكتاب المقدس إنه عاش 930 سنة (تكوين5 : 5) ، لكن هذه الحياة كانت تحت سيطرة الموت ، والموت الذي يقصده سفر التكوين هنا هو الموت الروحي ، وليس الموت الجسدي ؛ والموت الروحي هو اغتراب النفس الإنسانية عن مصدر الحياة ، اغتراب يؤدي إلى الانفصال . لذا فلم يكن موت آدم انفصال النفس عن الجسد ، إنما انفصال الروح القدس عن النفس هو الذي جلب الموت للنفس .

ومن أسباب الموت الروحي :-

1- ظلام الفكر وغلاظة القلب ، يقول رسول المسيحية بولس:"إذ هم مظلموا الفكر ، ومتجنبون عن حياة الله لسبب الجهل الذي فيهم بسبب غلاظة قلوبهم" (أفسس4 : 18) .

2- الاهتمام بالجسد وعدم الاهتمام بالروح ، وذلك :"لأن اهتمام الجسد هو موت ولكن اهتمام الروح هو حياة وسلام" (رومية 8 : 6).

3- الذنوب والخطايا . وهذا ما يؤكده الرسول قائلاً :"وإذ كنتم امواتاً في الخطايا وغلف جسدكم ، احياكم معه ، مُسامحاً لكم بجميع الخطايا" (كولوسي 2 : 31) .

4- الجهالة الروحية والسلوك في الظلمة ، وقد أكد الكتاب المقدس أكثر من مرة عن أن البعيدين عن المسيح هم مظلمو الفكر ، يجلسون في الظلمة وظلال الموت (إشعياء9 : 2) .

5- عدم المعرفة ، تقود الإنسان إلى السبي والهلاك ومن ثم الموت ، يقول الكتاب : "لذلك سبي شعبي لعدم المعرفة وتصير شرفاؤه رجال جوع وعامته يابسين من العطش" (إشعياء 5 : 31) .

6- عدم الإيمان بالمسيح وبعمله الكفاري لأجل الإنسان ، يجعل الإنسان ميتاً روحياً وليس له حياة يخبرنا الكتاب :"من له الابن فله الحياة ، ومن ليس له ابن الله فليست له الحياة" (1يوحنا 5 : 21) .

7- الرياء والنفاق والحياة بعيداً عن القداسة الحقيقة أحد أسباب الموت الروحي ، يقول الرب لملاك كنيسة ساردس :"أنا عارف أعمالك ، أن لك اسماً أنك حي وأنت ميت" (رؤيا 3 : 1) .

8- كما أن الموت الروحي هو حالة كل البشر بالطبيعة قبل أن يسمعوا ويقبلوا كلام ابن الله ، يقول الكتاب :"الحق الحق أقول لكم : إنه تأتي ساعة وهي الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون" (يوحنا 5 : 52) .

لكن بالرغم من أن الموت الروحي متمكن من الإنسان ، إلا أن النجاة منه ممكنة ، بل أن الإنسان مُطالب أن يخلص من هذا الموت ، يقول الكتاب :"استيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيُضئ لك المسيح" (أفسس 5 : 14) .

وهكذا كما أن شوكة الموت الطبيعي انتهت بغلبة المسيح ، وأصبح كل من في المسيح لا يخشى الموت الطبيعي ، لأنه باب الحياة الأفضل ، فإن النجاة من الموت الروحي تقوم أيضاً على شخص المسيح وعمله وكلمته وروحه ، وكل من تمتع بالإيمان بشخص المسيح وعمله فإنه انتقل من الموت إلى الحياة .

ثالثاً : الموت الأبدي أو الموت الثاني : الموت الأبدي أو الموت الثاني هو الانفصال نهائياً عن الله ورحمته إلى الأبدي ، وهو ما يعني الطرد من محضر الله والطرح في بحيرة النار ، وهذا نصيب "الخائفون وغير المؤمنين والرجسون والقاتلون والزناة والسحرة وعبدة الأوثان وجميع الكذبة فنصيبهم في البحيرة المتقدة بنارٍ وكبريتٍ ، الذي هو الموت الثاني "(رؤيا 21 : 8) .
وطبيعي أن يكون الموت الثاني نتيجة طبيعية للخطية ، حيث لا تجتمع قداسة الله والخطية ، فكل من عاش حياته في الإثم عبداً للخطية ، ومات في خطيته ، فهو لا محالة لن يكون مع الله ، بل نهاية حياة هذا الإنسان إنما هي الموت الأبدي ، غير أن الحياة بحسب أعمال الجسد تؤدي أيضاً إلى الموت الأبدي ، وأما الحياة بالروح فتؤدي إلى الحياة الأبدية .

وحين يتكلم الكتاب المقدس عن الموت الأبدي كموت ثانٍ فإنه يستخدم المصطلح كمرادف للعذاب الأبدي أو البحيرة المتقدة بنار وكبريت ، وبذلك يكون الموت الثاني من أخطر الحقائق الكتابية المعلنة في الكتاب المقدس ، وما الموت الطبيعي أو الجسدي إلا معبر يؤدي بالخاطئ إلى هذا الموت الذي لا رجعة منه ، ولا رحمة فيه .

رابعاً : الموت العقابي : هو القطع من الجماعة أي الانفصال عنها بالموت ، وهو الحكم بالموت أو الإعدام كعقوبة للمذنب ، وكانت هذه العقوبة تُنفذ في :

1- كل قاتل نفس فقد جاء في الشريعة اليهودية "إن القاتل يُقتل" (عدد 35 : 16) .

2- ضارب أو لاعن أو معاند والديه ، تقول الشريعة :"ومن ضرب أباه أو أمه يُقتل قتلاً ... ومن شتم أباه أو أمه يُقتل قتلاً ... " (خروج 21 : 15 ، 17) .

3- التجديف على اسم الرب أو التجديف على الله كانت أيضاً خطايا تجعل الإنسان مستوجب حكم الموت العقابي . "ومن جدف على اسم الرب فإنه يُقتل . يرجمه كل الجماعة رجماً . الغريب كالوطني عندما يُجدف على الاسم يُقتل " (لاويين 24 : 16) .

4- سرقة إنسان بهدف بيعه أو بهدف خطفه "ومن سرق إنساناً وباعه أو وجد في يده يُقتل قتلاً" (خروج 21 : 16) .

5- عبادة الأوثان أو التحريض عليها :"من ذبح لآلهة غير الرب وحده يُهلك" (خروج 22 : 20) .

6- السحرة ، تقول الشريعة "لا تدع ساحرة تعيش" (خروج 22 : 18) .

7- الزناة "وإذا زنى رجل مع امرأة فإذا زنى مع امرأة قريبه فإنه يُقتل الزاني والزانية" (لاويين 20 : 10) ، وزناة المحارم ، الشواذ جنسياً ، بمختلف أنواع الشذوذ .

8- كل من يعرض حياة الأخرين للخطر ، "ولكن إن كان ثوراً نطاحاً من قبل وقد أشهد على صاحبه ولم يضبطه فقتل رجلاً أو امرأة فالثور يُرجم صاحبه أيضا يُقتل" (خروج 21 : 29) .

9- من يعمل بطغيان "والرجل الذي يعمل بطغيان فلا يسمع للكاهن الواقف هناك ليخدم الرب إلهك أو القاضي يُقتل ذلك الرجل فتنزع الشر من إسرائيل" (تثنية 17 : 21) .

10- كاسرو السبت ، كانت الوصية تحض على حفظ يوم السبت ، تقول الشريعة " فتحفظون السبت لأنه مقدس لكم . من دنسه يُقتل قتلاً . إن كل من صنع فيه عملاً تُقطع تلك النفس من بين شعبها " (خروج 31 : 14 ، 35 : 2) .

<u>خامساً : موت المسيح :</u> مات المسيح ودفن وقبر ، ومع أن موت المسيح كان موتاً حقيقياً ، وليس وهمياً ولا خيالياً ، لكن موته يبقى مختلفاً عن موت سائر البشر حيث أن :

1- جميع البشر موتى بالذنوب والخطايا ، لكن المسيح شهد عنه أنه "لم يفعل خطية ، ولا وجد في فمه مكر" (1بطرس 2 : 22) .

2- البشر غير خالدين فقد خلقوا من تراب الأرض ، لكن المسيح غير مخلوق ، فهو الأزلي الأبدي ، فلم يكن للموت سلطان عليه .

3- جميع البشر موتى روحياً أي منفصلون عن الله وأعداء له ويحتاجون لمن يصالحهم مع الله ، أما المسيح فهو الأقنوم الإلهي ، الله الظاهر في الجسد والذي بتجسده وبموته صالح البشر بالله .

4- كان موت البشر عقاباً يستحقونه ، لكن موت المسيح لم يكن غضباً أو عقاباً أو جزاء يستحقه ، بل بنعمة الله ذاق الموت .

5- لا يستطيع البشر الهروب من الموت ، ولا مواجهته ، لكن المسيح بإرادته الحرة وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب .

لقد مات المسيح موتاً إرادياً تم بإرادته ، ولم يفرض عليه حتى من اليهود والرومان بل قبله الابن بإرادته الحرة ، فقد قال :"يا أبتاه في يديك أستودع روحي" . ولما قال هذا أسلم الروح" (لوقا 23 : 46) .

وبموت المسيح أكمل ثلاث مهمات رئيسية وهي :

1- هزيمة الخطية : فهو جاء لينقذنا من نتائج الخطية (وهي الموت) التي أصبحت متأصلة في طبيعة الإنسان منذ أن سقط الإنسان الأول بعصيانه الله في الفردوس ، فالقضاء على الخطيئة لم يكن يتم إلا بالموت الكفاري والتضحية لفداء الجنس البشري بفدية عظيمة ، وهكذا قدم يسوع المسيح نفسه فدية للجميع ، لكن المسيح الذي تواضع وأخلى ذاته حتى الموت موت الصليب قام ظافراً منتصراً في اليوم الثالث ، "ولكن الآن قد قام المسيح من الأموات وصار باكورة الراقدين" (1كورنثوس 15 : 20) .

هكذا ثبت ثبوتاً قاطعاً أن موت المسيح كان من أجل خطايانا وأصبح ممكناً لنا في شخص المسيح أن ننال نعمة التبرير من الخطيئة والحصول على الغفران .

2- هزيمة الموت : بعد أن دخلت الخطيئة العالم دخل الموت أيضاً إلى العالم وهكذا اجتازت الخطيئة والموت إلى كل الجنس البشري . لكن شكراً لله لأنه بموت المسيح على الصليب افتدانا وبررنا من الخطيئة وسحق الموت بالموت ليخلق فينا إنساناً جديداً ويمنحنا حياة جديدة بعد أن كنا نحيا في ظلمة الخطيئة والموت .

إن الإيمان المسيحي قائم على أساس لا يتزحزح هو موت المسيح ، ولأنه مات وقام غالباً الموت ، نعلم يقيناً أننا سنقوم أيضاً . فكما قال رسول المسيحية بولس :"وإن لم يكن المسيح قد قام فباطل إيمانكم . أنتم بعد في خطاياكم ... إذا الذين رقدوا في المسيح أيضاً هلكوا !" (1كورنثوس 15 : 17 ، 18) .

3- هزيمة الشيطان وقوات الشر : لقد كان الشيطان ظافراً فرحاً بهزيمة الإنسان وسقوطه في جنة عدن ، وطرده وموته (تكوين 3) ، وهكذا ظن عندما رأى موت المسيح على الصليب ، لكن الكتاب يؤكد أن موت المسيح على الصليب كان تجريداً للرياسات وإشهاراً لهزيمة الشيطان "إذ جرد الرياسات والسلاطين أشهرهم جهاراً ، ظافراً بهم فيه" (كولوسي 2 : 15) .

كما أن الخطية التي بسببها حُكم علينا بالموت ، ماتت مع المسيح مرة واحدة على الصليب ، وقد أقامنا معه أحياء وخليقة جديدة ، كإنسان جديدة .

<u>سادساً : موت القديسين وموت الأشرار:</u>

لا يختلف موت القديسين عن موت الأشرار من الناحية البيولوجية المرئية ، فالموت هو المصير المحتوم للجميع ، سواء كانوا أبراراً أو أشراراً ، كما أن عدم يقينية تحديد وقت الوفاة أمر مشترك

بين جميع فئات البشر ، وبالرغم من ذلك نجد أن الكتاب المقدس يُميز بين موت القديسين وموت الأشرار ، فعن موت الأشرار نُدرك من الكتاب المقدس أن الشرير في حياته الحاضرة كالعصافة التي تذريها الريح ، ولا يستطيع الشرير أن يتحكم في حاضره ولا مستقبله وعاقبةالأشرار أنهم لا يستطيعوا أن يقوموا على أقدامهم في يوم الدين ، لأنهم مرتعبون من الله ، ويكتب في سفر أيوب عن موت الشرير "صوت رعوب في أذنيه . في ساعة سلام يأتيه المُخرب .. قبل يومه يتوفى وسعفه لا يخضر " (أيوب 15 : 21 ، 32) .

ويذكر كاتب المزمور صورتين عن موت ونهاية الأشرار فيقول :"يذوب الحلزون ماشياً . مثل سقط المرأة لا يعاينوا الشمس " (مزمور 58 : 8) ، فالحلزون حيوان رخو يعيش في صدفة ، وما أكثر الأصداف التي نجدها على الشواطئ ولا شئ داخلها ، لأن الحلزون الذي كان بداخلها ترك الصدفة ولم يعد له وجود ، وكما أن السقط يولد قبل الآوان ناقصاً فيموت ولا يرى الشمس هكذا يكون موت الشرير .

وعو عدم وجود رجاء للشرير في موته ، وموقف الله والناس من موت الشرير ، يقول الكتاب المقدس :"لأنه ما هو رجاء الفاجر عندما يقطعه عندما يسلب الله نفسه ؟ أفيسمع الله صراخه إذا جاء عليه ضيق ؟ يضطجع غنياً ولكنه لا يُضم . يفتح عينيه ولا يكون . الأهوال تُدركه كالمياه . ليلاً تختطفه الزوبعة . تحمله الشرقية فيذهب وتجرفه من مكانه . يُلقي الله عليه ولا يُشفق . من يده يهرب هرباً . يصفقون عليه بأيديهم ويصفرون عليه من مكانه " (أيوب 27 : 8 - 23) .

أما موت القديسين فيختلف اختلافاً كبيراً وجوهرياً عفي إشارة لموته وانطن موت الأشرار ، فقد استخدم الكتاب المقدس وبخاصة العهد الجديد عدة تشبيهات لوصف موت اليسين :

ـ **الرقاد أو النوم :** وهذا التشبيه يتعلق بالجسد وقد دعي رقاداً ، أو نوماً ؛ ولم يُقل موتاً ، بل رقاد ، أو نوم ، فعند الموت يظهر الجسد كأنه يستسلم للنوم . ونجد هذا التعبير "رقد" قد استعمل عدة مرات ، فقصة موت استفانوس اختتمت ببهذه الكلمات "وإذ قال هذا رقد " (أعمال 7 : 60) . وقيل عن داود " بعد ما خدم جيله بمشورة الله رقد وانضم إلى آبائه " (أعمال 13 : 36) . وقد استخدم المسيح تعبير "نوم" للدلالة على الموت ، فعندما ذهب لإقامة ابنة يايرس "كان الجميع يبكون عليها ويلطون . فقال :"لا تبكوا . لم تمت لكنها نائمة " (لوقا 8 : 52) ، وفي استخدام التعبير "نوم" تأكيد على راحة النائم من أعماله اليومية ، كما أن اليقظة منه أمر حتمي ، لأن من ينام يكون لا يزال متمتعاً بالحياة .

ـ **انطلاق :** وهذا التشبيه يستمد من إطلاق المرساة ، وهو التشبيه الذي استعمل للموت ويتعلق بالنفس أو الروح وقد سمي انطلاقاً . وكان هذا التعبير المحبب لدى بولس "لي اشتهاء أن أنطلقوأكون مع المسيح . ذاك أفضل جداً " (فيلبي 1 : 23) .

ـ **خروج :** هذا التشبيه استخدمه المسيح في إشارة لموته وانطلاقه من العالم الأرضي ، ففي جبل التجلي حيث ظهر معه موسى وإيليا ، " وتكلما عن خروجه الذي كان عتيداً أن يُكمله في أورشليم" (لوقا 9 : 31) .

وفي إيماننا المسيحي لا نرى في الموت سوى بوابة تفضي إلى الحياة وبكل ما تحمله الكلمة من معان نوقن في أنفسنا أننا لسنا في طريقنا إلى الموت ، بل إننا في طريقنا إلى الحياة .. الحياة الأسمى والأمجد بما لا يقاس . وهكذا فعند الموت يوضع الجسد فتحتضنه الأرض ليستريح ولكن الروح تنطلق إلى عالم آخر حيث تحيا إلى الأبد .

ماذا يحدث للموتى في القبر؟

يتساءل الكثير من البشر عما يحدث للإنسان عقب موته ودفنه في القبر ؟ ومن البديهي أن يرغب الإنسان في معرفة ما ينتظره بعد الموت ، ونحن في طبيعتنا البشرية الفضولية ، نسعى جاهدين وراء كل معلومة تحاول أن تشرح لنا ما سوف يحدث في القبر .

وتُسهب بعض الأديان والمعتقدات في تصوير ما يحدث للموتى في القبر ، فهناك من يعتقد بإن الروح بعد أن تفارق الجسد بالموت ، تعود مرة أخرى إلى الجسد في قبره ، وأن في القبر حياة ، ولكنها ليست كالحياة المعهودة في الدنيا التي تقوم فيها الروح بقيادة البدن وتدبره وتصرفه ويحتاج معها إلى الطعام والشراب واللباس ، بل في حياة أخرى غير هذه الحياة تعاد الروح إلى البدن إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا ليسأل ويمتحن في قبره .

وتعاد الروح بين الجسد والأكفان ، وهو عود خاص للمساءلة ، وفي الإسلام يكون القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار ، أي أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب ، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه ، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة ، وأنها تتصل بالبدن أحياناً ، ويحصل له معها النعيم أو العذاب .

والأرواح متفاوتة أعظم تفاوت ، فمنها أرواح في أعلى عليين ، ومنها في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ، ومنها أرواح تكون في تنور الزناة والزواني ، وأرواح في نهر الدم تسبح وتلقم بالحجارة .. فليس للأرواح سعيدها وشقيها ، مستقر واحد ، بل روح في أعلى عليين ، وروح في أرضية سفلية لا تصعد عن الأرض .

وعند دراسة الكتاب المقدس نجد أن كلمة "القبر" تتخطى مكان دفن الجسد ومواراته التراب ، إلى مكان تجمع الأرواح التي غادرت الأجساد ، إما في حالة هناء وإما في حالة عذاب . وغالباً ما تُشير

هذه الكلمة إلى مكان سفلي يقع في أعماق الأرض ، فالهاوية ليست مكاناً رمزياً ، بل مكان فعلى حرفي . و"القبر" أو "شيول" ، كما في اللغة العبرية ، هو مكان يذهب إليه الأبرار ومكان يذهب إليه الأشرار ، وإن كان "القبر" بالنسبة للبعض مكاناً مظلماً وقاتماً ، لكنه بالنسبة للبعض الآخر يعتبر مكاناً مريحاً ينتظرون المكافأة والسكنى مع الله . إن سبب وجود مكانين مختلفين لتجمع أرواح البشر المنتقلين من هذا العالم ، كما يسميها العهد القديم بكلمة واحدة هي :"الهاوية" ، أو كما يسميها العهد الجديد "الجحيم" أو "الفردوس" ، هو وجود نوعين مختلفين من البشر ، فحين ذهب إلى الهاوية رجال الله الأبرار كإبراهيم وإسحق ويعقوب وغيرهم من الأبرار (تكوين 37 : 35 ، 42 : 38) ، ذهب أيضاً إليها الأشرار العصاة كبني قورح وداثان (عدد 16 : 30- 33) . وحين ذهب إلى الفردوس اللص الذي آمن بالمسيح ، واختطف إليها الرسول بولس (لوقا 23 : 43، 2كورنثوس 12 : 4) ، يذهب الأشرار إلى الجحيم "فرفع عينيه في الهاويةوهو في العذاب ورأى إبراهيم من بعيد ولعازر في حضنه" (لوقا 16 : 23) ، كما أن الذهاب إلى الهاوية لا يعني فقط الذهاب إلى القبر ، حيث يرقد الجسد ، بل إلى الحياة الثانية ، سواء كانت هذه الحياة هناء وبهجة وفرح ، أم عذاب وألم وشقاء .

لذلك فإننا كمسيحيين لا نعتقد بوجود أي صورة من صور الحياة في القبر ، بمعناه الضيق ، كمكان تُدفن فيه الأجساد ، وإن كان العهد الجديد يحدثنا عن حالة وجود بين الموت والقيامة ، لكن هذه الحالة تبقى حالة مؤقته وغير مكتملة لأن الإنسان ليس مكتملاً فيها وهو بدون الجسد ، كما أن إيماننا المسيحي يعتقد بأن هناك حياة فيما وراء القبر وأن حياتنا الأرضية ما هي إلا إعداد لتلك الحياة ، فلأن المسيح قام جسدياً من الأموات نعلم أن ما قاله هو حق وأنه هو الله الذي يقيم الأموات فهو حي وليس نبياً كاذباً ، أو مضللاً ، بل هو المسيح الذي قهر الموت بالموت ووهب الحياة للموتى الذين يسمعون صوته ويؤمنون بكلمته .

إن القبر في المسيحية ليس مدخلاً إلى الموت بل إلى الحياة ، القبر ليس مدفناً فارغاً بل طريق يؤدي للجحيم لمن لم يُملكوا المسيح على حياتهم ، أو للفردوس لأولئك الذين قبلوا المسيح وآمنوا به ، فإن القوة التي أعادت المسيح للحياة متاحة لجميع من آمنوا به ، وهو القائل بفمه الطاهر :"أنا هو القيامة والحياة . من آمن بي ولو مات فسيحيا" (يوحنا 11 : 25) . نعم إلهنا هو إله الأحياء وليس إله الأموات ، فلم يعد الموت مصدراً للرعب أو الخوف ، فقد غلبه المسيح ، وسيغلبه كل مؤمن بالمسيح . لقد أنهزم الموت فيما وراء القبر ، وحق للمؤمن السعيد أن يتغنى مع الرسول بولس : "ابتلع الموت إلى غلبة" . أين شوكتك يا موت ؟ أين غلبتك يا هاوية؟" (1كورنثوس 15 :54،55).

ماذا بعد الموت أو إطلالة على العالم الآخر؟

من أفضل النماذج الكتابية التي يخبرنا من خلالها الكتاب المقدس عما يحدث بعد الموت ، ما تكلم به المسيح وسجله العهد الجديد في إنجيل لوقا (لوقا 16 : 19 - 31) وهو عن قصة الغني ولعازر ، فلقد أزاح المسيح الستار عما في العالم الآخر بعد الموت . وربما يعترض البعض أن ما ذكره المسيح في هذه القصة كان مثلاً وليس تعليماً ، نستطيع أن نقول أن جزءاً هاماً من تعليم المسيح كان

عبر الأمثال التي تكلم بها لسامعيه ، وأنه "بدون مثل لم يكن يُكلمهم "(متى 34:13 ، مرقس34:4).ورغم أن أغلب الأمثال التي استخدمها المسيح كانت قصصاً من واقع الحياة إلا أنها كانت دائماً تُعبر عن حقائق أوحى الله بها .

وفي لوقا 16 : 19- 31 يستعرض جزءاً من حياة نوعين من البشر ، وبعدما انتهت حياتهما ، مات كل منهما لعازر والغني ، لكن الأول مات وحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم ، أما الثاني فمات ودفن ؛ فرفع عينيه في الهاوية وهو في العذاب ، ورأى إبراهيم من بعيد ولعازر في حضنه . وهنا نرى المسيح يصف الاختلاف الجذري بين مصير المؤمن وغير المؤمن ، فالمؤمن حملته الملائكة إلى حضن إبراهيم ، وهنا يمكننا أن نرى إن الإنسان بعد موته يبقى في حالة من الإدراك والوعي لما يحدث معه سواء كان عذاباً وشقاء أو سعادة وهناء .

وإن كان النص الكتابي موضوع دراستنا لم يوضح ما كان عليه لعازر ـ والذي يمثل هنا الأتقياء ـ إلا أننا نستطيع أن نميز بسهولة الحالة التي كان يشعر بها الرجل الشرير بعد انتقاله ، فقد : ـ

ـ كان في حالة وعي كامل لما يحدث معه بعد موته ، فقد رأى وتكلم وأحسن وتعذب وتوسل وأشفق على من ينتظرهم هذا المصير ، يقول الكتاب أن الغني ذهب إلى الهاوية ، وهناك :"رأى إبراهيم من بعيدٍ ولعازر في حضنه " وتكلم منادياً إبراهيم :"فنادى : يا أبي إبراهيم ارحمني وأرسل لعازر ليبل طرف إصبعه بماء ويُبرد لساني لأني معذب في هذا اللهيب "(لوقا 16: 24،23) .

ـ الحياة في العالم الآخر مرتبة ترتيباً مذهلاً ، ومكان الأشرار يختلف كلية عن مكان الأبرار ، وأن هناك هوة تفصل بين الإثنين ، فلا يمكن لأي طرف الانتقال من جهة إلى الأخرى .

ـ إن الأشرار يدركون أنهم في المكان الذي يستحقونه ، فبالرغم من كونهم يتعذبون ، لكنهم لا يتذمرون ولا يشعرون بالظلم إزاء ما هم عليه من عذاب وشقاء ، وقد سأل إبراهيم أن يُرسل لعازر إلى أخوته حتى يشهد لهم لكي لا يأتوا إلى مكان العذاب الذي يعاني من عذابه ، ومن خلال النص ندرك أن هذا الرجل كان يُدرك أنه يستحق هذا العذاب وأن معاناته كانت عادلة ، وذلك لسببين ، أولهما أنه لم يذكر البتة أنه مظلوم ، لقد اشتكى من جراء آلامه وعذابه ، ولم يُشر إلى أنه تعرض لظلم ، ثانيهما ، وهو الأمر الأهم أنه علم تماماً ماذا وجب على إخوته أن يفعلوه إن هم أرادوا تجنب المصير الذي آل هو إليه .

ـ أن الرجل الشرير مكانه الحالي هو الهاوية ، وسوف يستمر في هذه الحالة إلى أن يصل إلى الحالة الأخيرة وينتقل كل من هم في الهاوية إلى جهنم حيث العذاب الأشد والأنكى ، حيث يخبرنا سفر الرؤيا أنه سيأتي الوقت الذي سيُطرح فيه الموت والهاوية في بحيرة النار والتي يُطلق عليها المسيح "جهنم" .

ـ لا يمكن للإنسان المنتقل إلى العالم الآخر التواصل مع البشر على الأرض ، فالتواصل بين الأحياء والأموات غير ممكن ، وكل من يدعي قدرته على التواصل مع الأموات لا يعلم الحقائق الكتابية .

ـ لا يستطيع المنتقلون ـ سواء كانوا أبراراً أم أشرار ـ أن يتشفعوا في الأرضيين ، حتى ولو حاولوا ذلك ، فقد حاول الغني متوسلاً لإبراهيم أن يرسل لعازر إلى أخوته في الأرض لعلهم يتوبون ولكن طلبه قوبل بالرفض .

ـ يستطيع المنتقلون إلى العالم الآخر أن يتعرفوا إلى بعضهم البعض ، فمثلاً تعرف الغني إلى لعازر ، وتعرف لعازر وإبراهيم على بعضهما البعض .

أمر أخر يجب الإشارة إليه ، وهو أن الغني كان يهودياً ابناً لإبراهيم ، ومع هذا لم تخلصه ديانته ولا بنويته لإبراهيم ، فلقد ظن اليهود أنه يمكنهم الاعتماد على بنويتهم لإبراهيم وأنهم لا يحتاجون لأن يتوبوا أو يثمروا ثمراً لائقاً بتوبتهم ، كذلك نصيحة المعمدان لهم ألا يعتمدوا على مثل هذا الإدعاء وأن كان حقيقة ، قائلاً لهم :"اصنعوا أثماراً تليق بالتوبة . ولا تبتدئوا تقولون في أنفسكم : لنا إبراهيم أباً . لأني أقول لكم إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم " .

ومن هذا يتضح أنه لا ديانة الإنسان ، ولا انتماؤه الديني أو القبلي ، ولا حالته المادية فقراً أو غنى ولا حالته الاجتماعية ، التي تحدد مصيره الأبدي السعيد أو الشقي لكن إيمان الإنسان بالمسيح هو الذي يُحدد إلى أين سيتجه الإنسان في العالم الآخر .

المرحلة قبل الأخيرة : القيامة والدينونة

القيامة والبعث من الموت موضوع مشترك في غالبية الديانات والمعتقدات ، فنجد في إيمان البراهمانية والبوذية والهندوسية والكونفوشيوسية والبوذية باستمرار وجود الإنسان بعد الموت ، وبحياة ما بعد الموت ، أيضاً اشتركت الأديان الإبراهيمية في الإيمان بعقيدة قيامة الموتى ، والحياة بعد الموت ، والدينونة .

مفهوم القيامة في العهد القديم

لم يكن الإيمان بالقيامة إيماناً عقيدياً راسخاً في الفكر العبراني القديم ، بل نستطيع أن نشهد تطوراً ملحوظاً في اعتقاد العبرانيين بقيامة الأموات ، فقد بدأ الإيمان العبراني القديم بالاعتقاد أن الموت هو نهاية الحياة ولا توجد هناك حياة أخرى بعد الموت ، لكن هذا المفهوم تطور للاعتقاد بأن حياة الإنسان لا يمكن أن تنتهي بموته وإن ظلت صورة الحياة بعد الموت في العقيدلية العبرانية القديمة صورة باهتة لا تتخطى كينونة الكيان البشري بعد الموتت في جسد هيولي له شبه الجسد المادي ، لكن مع مع انفتاح الشعب اليهودي القديم على ثقافات الشعوب المحيطة بدأ الإيمان بقيامة الموتى وبعثهم بعد موتهم من جديد ، ويُسجل العهد القديم بعض الحالات عن قيامة الموتى وعودتهم لجسادهم ثانية ، الحالة الأولى وهي إقامة النبي إيليا لابن أرملة صرفة صيدا (1ملوك17: 20-22). ومرة ثانية نقرأ عن إقامة النبي أليشع لابن المرأة الشونمية (2ملوك4: 32- 36) ، ومرة ثالثة نقرأ عن الميت الذي دفن في قبر النبي أليشع وإذ لمس جسده الميت عظام أليشع قام الميت وعادت روحه إليه (2ملوك 21:13) .

على أننا نستطيع أن ندرك أن الإيمان اليهودي بإقامة الموتى بدأ مع إبراهيم أبي المؤمنين ، إذ توقع أن الله سيقيم ابنه اسحق من الموت على جبل المريا بعد تقديمه ذبيحة لله (تكوين22:5 ، عبرانيين 19:11) .

مفهوم القيامة في العهد الجديد

مع العهد الجديد بدا واضحاً أن عقيدة القيامة ، وبعث الموتى ، تحظى بشبه الإجماع العقيدي والإيمان أن الموتى لابد وأنهم سيقامون ويعودون إلى الحياة مرة أخرى ، وقد سجل العهد الجديد ـ تأكيداً لحقيقة القيامة ـ أكثر من خمس حالات لقيامة أموات من الموت ، فقد أقام المسيح ثلاثة أشخاص من الموت ، وهم : ابن الأرملة التي من نايين (لوقا11:7) ، ابنة يايرس (لوقا 8 : 41) ، لعازر (يوحنا 11 : 44،43) . كما أقام الرسول بطرس طابيثا بعدما مرضت وماتت فغسلوها ووضعوها في عليةٍ (أعمال 9: 41،40) ، وأقام الرسول بولس ، الشاب أفتيخوس ، بعدما وقع من الطابق الثالث ومات (أعمال 20 : 9- 12) . هذا بالإضافة إلى القديسين الكثيرين الذين قاموا من الموت بعد قيامة المسيح ودخلوا إلى المدينة ، هذه الحادثة التي يسجلها إنجيل متى قائلاً :"والقبور تفتحت وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين . وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين" (متى 27 :53،52) .

أنواع القيامة

1ـ القيامة الأولى : وهي قيامة روحية ، تقابل الموت الروحي من حيث علاقتها بالروح وليس بالجسد ، فكما أن الموت الروحي هو انفصال النفس نتيجة الخطية عن الله مصدر الحياة ، فإن هذه القيامة "قيامة روحية" لا قيامة أجساد ، ومن خلالها يُمنح الإنسان الميت بالذنوب والخطايا حياة جديدة ، وزمان ومكان هذه القيامة هو الزمان الحاضر ، ويختبرها كل الذين قبلوا المسيح مخلصاً لحياتهم هنا في هذا العالم ، وعن هذه القيامة يقول المسيح :"الحق الحق أقول لكم : إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة الحق الحق أقول لكم : إنه تأتي ساعة وهي الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون" (يوحنا 5 :26،25) .

2ـ القيامة العامة: وتحدث هذه القيامة لجميع البشر ، في اليوم الأخير عندما ينتهي الزمان ، ويأتي المسيح في مجده ليدين الأحياء والأموات ، الصالحين والطالحين ، فلقد علم المسيح قائلاً :" لا تتعجبوا من هذا فإنه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته . فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة " (يوحنا 5 : 28 ، 29) . ولعل هذه القيامة النهائية تشتمل على بعض التفصيلات الدقيقة ، ومنها ، أن الأبرار سيقومون إلى الحياة الأبدية ، وهي ما يسميه المسيح "قيامة الحياة" ، وأن هؤلاء الأبرار الذين ماتوا في المسيح سيقومون أولاً ، أما الأشرار والأثمة فإنهم سيقومون أيضاً ولكن إلى العار للأزدراء الأبدي ، أو كما أطلق عليها المسيح :"قيامة الدينونة" .

والسؤال الذي يطرح نفسه : كيف يُقام الأموات وبأي جسد سيُقام الأموات ؟

بالعودة لكلمة الله ، الكتاب المقدس ، ندرك أن جسد القيامة يشبه الجسد الأرضي الذي كان ، ويحمل العلامات التي كانت قبل الموت ، ونبرهن على ذلك مما حدث لجسد المسيح بعد قيامته من الموت ، فقد جعل تلاميذه يرون يديه ورجليه وجنبه المطعون ليتأكدوا أنه هو المسيح الذي مات مسمراً في يديه ورجليه على الصليب ومطعوناً في جنبه (يوحنا 20 : 20 ، 27) ، فالجسد الذي مات ودفن هو الذي يقوم ، وإلا لا تُسمى قيامة بل خلق جديد ، وهذا ما لا يُعلم به الكتاب المقدس ، ومع ذلك فإن جسد القيامة سيختلف عن الجسد الأرضي في بعض الخصائص التي لخصها الرسول بولس في تعليمه لأهل كنيسة كورنثوس (1كورنثوس 15 : 42- 46) .

ويمكن أن نلخص الاختلافات الذي ذكرها بولس بين جسد القيامة ، والجسد الأرضي ، في أن جسد القيامة سيكون روحانياً ، مجيداً ، لا يقبل الفساد ، خالداً ذا قوة عظيمة ، وهذا ما يجعل من أجساد المؤمنين مشابهة لجسد المسيح المُقام ، أما عن أجساد غير المؤمنين ، فإن كنا نعلم أنه في القيامة سيقوم كل بشر ، فإن الكتاب المقدس صمت عن وصف أجساد غير المؤمنين في قيامتهم ، إلا أننا نعلم أن نفوس غير المؤمنين وأجسادهم ستطرح في جهنم حيث الهلاك الأبدي (متى 10 :18) .

الدينونة

إن الدينونة أمر غريزي متأصل في النفس الإنسانية ، فهناك شعور فطري عند الإنسان أنه لابد أن يُعطى حساباً عما فعله وأنه سيأتي اليوم الذي سيقف فيه أمام من يدينه على أعماله إن كانت خيراً أو شراً ، وتعلن ضمائر البشر أنه سوف يكون هناك دينونة لكل الأبرار والأشرار ، وأن الله سيُحضر "كل عملٍ إلى الدينونة على كل خفي إن كان خيراً أو شراً" (جامعة 14:12) ، وما الموت والقيامة إلا تمهيد للدينونة ومجازاة كل إنسان عما آمن به وفعله وقت حياته على الأرض ، وقبل موته ، كما يكتب عن أن الله "أقام يوماً هو فيه مُزمع أن يدين المسكونة بالعدل" (أعمال 27 :31) ، في هذا اليوم لا يدين الله البشر على أعمالهم الظاهرة فقط ، بل سيدين سرائرهم ، يقول : "اليوم الذي فيه يدين الله سرائر الناس" (رومية 16:2) ، وليس أفعالهم وسرائرهم فقط ، لكن عن كلماتهم أيضاً ، وكل ما تفوهوا به ، ولن تكون الدينونة لتقرير مصير الإنسان ، لأن مصير كل بشرٍ يتحدد حينما يموت ، حيث لا إمكانية للعودة ثانية أو لتصحيح الأوضاع والتوبة ، لكن القصد من الدينونة إنما هو منح المكافآت والأكاليل للأبرار ، ولإنزال العقاب بالأشرار حسبما يستحقون ، وهذا ليؤكد عدل الله وبره في معاملة البشر ، وأهم ما يميز الدينونة أنها شخصية ، فلن يضيع الفرد وسط الجماعة ، ولن يُجازى إنسان نيابة عن غيره ، ولن يحمل إنسان سوى وزر نفسه ، يقول الكتاب :"فإذا كل واحدٍ منا سيعطي عن نفسه حساباً لله" (رومية 12:14) .

الديان

يُعلم العهد القديم أن الله هو الديان ، هذا ما أدركه إبراهيم عندما أدرك أن الله ديان كل الأرض (تكوين 25:18) ، وهذا ما أدركه داود أن "الله هو الديان" (مزمور50 :6) ، لكن العهد الجديد

كشف لنا عن أن الله أعطى الدينونة للابن ، وهذا ما تكلم وعلم به المسيح قائلاً :"لأنه كما أن الآب له حياة في ذاته كذلك أعطى الابن أيضاً أن تكون له حياة في ذاته. وأعطاه سلطاناً أن يدين أيضاً لأنه ابن الإنسان" (يوحنا 5 : 26،27) .

أنواع الدينونة

تختلف الدينونة تبعاً للمُدان ، وهناك أنواع كثيرة للدينونة ، لكننا سنقصر حديثنا هنا على موضوع دراستنا المتعلقة بالأشرار والأبرار وما سيحدث مع كل منهما بعد الموت .

1- دينونة الأبرار : يُعلن الكتاب المقدس أنه :"لا شئ من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح" (رومية 8: 1) ، ولأن في المسيح تمت الدينونة على خطايا البشر مرة واحدة ، فقد وضع الله عليه إثم جميعنا "وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا . تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا . كلنا كغنم ضللنا . ملنا كل واحدٍ إلى طريقه والرب وضع عليه إثم جميعنا" (إشعياء 53 : 5،6) .من أجل كل ذلك فإن المؤمن لن يدان ولن يتعرض للدينونة ، فقد قال المسيح بفمه الطاهر :"الحق الحق أقول لكم : إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونةٍ بل قد انتقل من الموت إلى الحياة " (يوحنا 5 : 24) .

ومع ذلك سيمثل المؤمنون أمام كرسي المسيح لا لإدانتهم ، بل ليقدم كل منهم حساباً عما أؤتمن عليه من فرص ووزنات ، وتصفى أعمالهم وتمتحن وبعدها ينال كل واحدٍ مكافآته النهائية .

2- دينونة الأشرار : وهذه الدينونة تكون أمام العرش الأبيض العظيم ، عرش الله ، وتشمل جميع البشر الذين لم توجد أسماؤهم في سفر الحياة ، الذين لم يقبلوا المسيح مخلصاً لحياتهم ، ولم يتمتعوا بنيابته عنهم في دفع ثمن خطاياهم .

الأسفار التي على أساسها سيُدان الأشرار

وستتم دينونة الأشرار على أساس ما هو مكتوب في الأسفار بحسب أعمالهم ، ما هي تلك الأسفار التي سيُدان الأشرار على أساس ما هو مُسجل فيها ؟

1- سفر الكتاب المقدس : كلمة الله : فقد قال المسيح :"من رذلني ولم يقبل كلامي فله من يدينه . الكلام الذي تكلمت به هو يدينه في اليوم الأخير" (يوحنا 48:12) ، ففي كلمة الله تكمن الحياة والدينونة ، الحياة لمن قبل الابن ، كلمة الله المتجسد ، والدينونة لمن لم يقبل كلمة الله .

2- سفر الضمير : هذا السفر ممنوح من الله لجميع البشر ، "لأنه الأمم الذين ليس عندهم الناموس متى فعلوا بالطبيعة ما هو في الناموس فهؤلاء إذ ليسى لهم الناموس لأنفسهم ، الذين يظهرون عمل الناموس مكتوباً في قلوبهم شاهداً أيضاً ضميرهم وأفكارهم فيما بينها مُشتكية أو مُحتجة " (رومية 2: 14،15) .

3- سفر التوكيل : حيث يفتح هذا السفر ويتردد قول الكتاب :"أعط حساب وكالتك" (لوقا 2:16). فالإنسان وكيل على ما أعطاه الله من وزنات ومقدرات ومواهب ، وعلى الكيفية التي يستثمر بها الإنسان هذه العطايا التي منحه إياها الله تكون مكافأته أو عقابه ، سواء كان مؤمناً أو غير مؤمن .

4- سفر الحياة : وهذا السفر الذي سُجلت فيه أسماء الذين آمنوا بالمسيح وتمتعوا بالحياة ، وبالقطع فإن أسماء الأشرار غير مسجلة في هذا السفر ، وأمام كل هذه الأسفار فالأشرار مستحقون للدينونة.

المرحلة الأخيرة : الشقاء أو السعادة الأبدية

بعد المحاكمة والدينونة ، يأتي المستقر الأخير لجميع البشر الأشرار منهم والأبرار ، وستكون هذه الحالة أبدية في مداها ، حيث يمضي الأشرار إلى عذاب أبدي ، والأبرار إلى حياة أبدية .

الحالة النهائية والأبدية للأبرار

يخبرنا الكتاب المقدس أن الأبرار سينعمون بالحياة الأبدية ، والحياة الأبدية التي سينعم بها الأبرار في حالتهم النهائية ، تبدأ منذ اختبار الإنسان للقيامة الروحية من موت الخطية ، أي الإيمان بشخص المسيح ابن الله المخلص ، وما هي الحياة الأبدية ؟ يُعرف المسيح الحياة الأبدية في صلاته الشفاعية قائلاً :"وهذه هي الحياة الأبدية : أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته" (يوحنا 17: 3) .

والحياة الأبدية هي بما لا يُقاس أكثر من مجرد وجود أبدي ، فهي تُشير إلى نوع وحالة الحياة التي سيحياها المؤمن أكثر مما تُشير إلى مداها وزمانها ، إنها حياة الله في نفس الإنسان ، إنها الحياة بكل ملئها ومجدها وقوتها ، حياة لا تحدها حدود الأرض ، إنها حياة الشركة مع الله ، فالحياة الأبدية في صورتها النهائية ، تعني أن الله سيسكن وسط شعبه في أرض جديدة وسماء جديدة غير التي نعرفها ، وعن هذا المكان الذي أعده الله للأبرار ، يقول الرسول بولس :"ما لم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان : ما أعده الله للذين يحبونه " (1كورنثوس 2 : 9) .

في هذه الحالة والمكان الأبديين سيكون المؤمنون كالنجوم المتلألئة ، كل مُكلل بأكاليله ، ولسوف تكون هناك درجات في السماء ، وقد استخدم الرسول بولس تشبيهاً مجازياً لوصف هذا الأمر قائلاً أن :"نجماً يمتاز عن نجم في المجد" (1كورنثوس 15 : 41) . ، والملاحظ أنه شبه جميع الأبرار بالنجوم المتلألئة ، بمعنىأنه لا توجد تعاسة في السماء ، فالجميع سيباركون بأكثر مما نستطيع تخيله .

ومع أن شوق قلب المؤمنين أن يلتقوا بشخص المسيح ، ويتمتعوا بحضرته البهية ، إلا أنه من الأمور الرائعة أيضاً لطبيعة هذه الحياة الأبدية والسكنى الدائمة في حضرة الله ، أن المؤمنين يستطيعون أن يتعرفوا كل منهم على الآخر ، ففي تعليم المسيح المعروف بمثل الغني ولعازر ، نرى أن لعازر تعرف إلى إبراهيم (لوقا16) ، وفي الوقت الذي تكلم فيه المسيح ضد التصورات الخاطئة للصدوقيين عن الحياة في الأخرة ، قائلاً لهم :"أنهم في القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون بل

يكونون كملائكة الله في السماء " (متى30:22) ، وهذا يدحض كل فكر بشري عن إمكانية التزاوج بين الأبرار في السماء ، فلا زواج ولا تزاوج بين الأبرار ، ولا حوريات في السماء ، بل سيكون الأبرار كملائكة الله ، على العكس نجد أن المسيح لم يتكلم ضد أن يعرف الأبرار بعضهم البعض في السماء ، هذا الرجاء البهيج الذي يملأ قلوب المؤمنين المشتاقين إلى لقاء أحبائهم .

وإذ يلتقي الأبرار في السماء ويتعرف كل منهم على الآخر ويفرحون جميعاً برؤية الله والتمتع بحضرته ، وتمضي الأبدية لسعيدة في فرح وتسبيح لله ، فيهتف جميع من في الأبدية بترانيم الظفر والانتصار قائلين : "أنت مستحق أيها الرب أن تأخذ المجد والكرامة والقدرة ، لأنك أنت خلقت كل الأشياء ، وهي بإرادتك كائنة وخلقت" (رؤيا4:11) .

إن الكتاب المقدس قاطع في مسألة عقاب الأشرار ، تقول النبوة :"وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي" (دانيال 1:12) .

وإذا كانت الحياة الأبدية للأبرار حالة ومكاناً ، فهكذا الأمر بالنسبة للأشرار ، فالعذاب الأبدي هو حالة ومكان أيضاً ، فهو حالة من الحزن والشقاء والبؤس والعذاب ، ومع أنه يصعب على اللغة الإنسانية أن تصف الحالة التي يكون عليها الأشرار في عذابهم الأبدي ، حيث يمكنهم رؤية الأبرار وهم يتنعمون في ملكوت الله ، فقد قال المسيح عن هذه الحالة :"هناك يكون البكاء وصرير الأسنان متى رأيتم إبراهيم وإسحاق ويعقوب وجميع الأنبياء في ملكوت الله وأنتم مطروحون خارجاً" (لوقا 28:13) .

أما عن مكان العذاب الأبدي حيث يقضي الأشرار أبديتهم ، يقول المسيح ، أنها : "جهنم في النار التي لا تطفأ . حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ " (مرقس 9 : 45 ، 46) ، ومرة أخرى يصفها المسيح بأنها :"الظلمة الخارجية هناك يكون البكاء وصرير الأسنان" (متى30:25) ، إن مسكن الأشرار حيث العذاب الأبدي مكان حقيقي ، وهو ليس مكاناً للفناء والإبادة وعدم الوجود ، بل مكان للعذاب المستمر ؛ ومن الأمور المُعزية أن الله لم يُعد النار الأبدية للإنسان ، بل لإبليس وملائكته ، وأنه حفظهم فيها منذ سقوطهم وضلالهم .

ويُسجل الكتاب المقدس أن هناك دركات متفاوتة للعذاب يعانيه الأشرار ، كل بحسب إدراكه ومسؤوليته عن أخطائه التي اقترفها في حياته على الأرض ، يكتب الرسول بولس أن الله "سيجازي كل واحدٍ حسب أعماله" (روميه6:2) ، من هذا ندرك أن الأشرار في عذابهم سينال البعض منهم "دينونة أعظم" ، والبعض الآخر سيكون "عقابه أشد" ، والبعض الآخر ستكون حالتهم "أكثر احتمالاً" ، لكن ما يؤكد عليه الكتاب المقدس أنه مهما اختلف العذاب الذي سيتعرض له الأشرار ، إلا أنه بالنسبة للجميع عذاب أبدي ودائم ، وأقسى ما فيه هو الانفصال الدائم والأبدي عن الله .

تساؤلات ومصطلحات : ومحاولة الإجابة والتصحيح

عند دراسة موضوع الموت وماذا يحدث للإنسان بعد دفنه في القبر مروراً بالحالة المتوسطة ، ووصولاً للحالة النهائية الأبدية ، فإن كثيراً من المصطلحات والأسئلة تطرح نفسها على موضوع الدراسة وتحتاج كل منها لدراسة خاصة ، وفي هذا الجزء نحاول التصدي لبعض هذه الأسئلة والمصطلحات في محاولة للإجابة أو التصحيح والتوضيح ، وقد يجانب هذه المحاولة الصواب إلا أنها تبقى محاولة للتفكير الجاد والبحث في مثل هذه الموضوعات .

1- هل خلق الله الموت ؟

جميعنا يدرك أن الله خالق كل شئ ، ويذكر رسول المسيحية بولس أن :"ما في السماوات وما على الأرض ، ما يرى وما لا يرى ، سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين . الكل به وله قد خلق" (كولوسي 16:1) ، لذلك يتساءل البعض قائلاً : أن الله خلق الحياة ، ولا حياة بدون نفخة الله القدير ، مصدر كل حياة ، لكن ومع أننا نفهم كيف خلق الله الحياة ، يبقى السؤال : كيف خلق الله الموت ، والموت عدم وفناء ؟ ويعتبر أصحاب هذا الاعتقاد بأن للموت صفة وجودية كمخلوق ، ويدلل أصحاب هذا الفكر على "خلق الموت" ، بأن الموت يلاحق كل كائن حي من داخله ، وهذا من خلال موت خلايا الكائنات الحية لتحل محلها خلايا جديدة ، ولأن الموت مخلوق في داخلنا لذلك لا نستطيع الهرب منه حتى الساعة الأخيرة ، وتنتهي الحياة بالموت الطبيعي في صورته المعروفة ، أي انفصال الروح أو النفس عن الجسد .

ومن الواضح أن هذا الفكر من الأفكار الشائعة والخاطئة ، ويعود مصدر هذا الفكر لبعض الديانات الوثنية ، وبعض الأفكار الغنوسية ، فإن التفكير في الموت كمخلوق يجعلنا نصبغ على الموت صفة الوجودية ، كموجود له كيان ، وربما شخص له وجود وقوة كيانية في داخله .

ومع أن هذا التفكير لا يمت للمسيحية بصلة ، وإن الحقيقة الكتابية تعلن أن الموت دخل إلى العالم كنتيجة لخطية الإنسان ، وهكذا بخطيئة آدم عرف الموت طريقه إلى البشر وإلى العالم ، يقول الكتاب :"من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع " (رومية 12:5) ، والموت هنا ليس كياناً وجودياً ، له صفة المخلوق ، وإنما هو نتيجة لخطية الإنسان التي أدت إلى وضع نهاية لحياته التي وهبها له الله .

لكن السؤال الذي يبقى مطروحاً هو : أليس الله هو خالق الحياة ؟ وهو الذي يملك أن يضع نهاية لها؟ وهذا الأمر بكل تأكيد حق وصحيح ؛ لأن خالق الحياة يملك أن يضع نهاية لها .

ولكن : كيف يضع الله نهاية للحياة ؟ إما أنها نهاية حسب قصده ، وإما أنها نهاية أرادها الإنسان لنفسه ؟ .. هنا لا يجب أن تختفي حقيقة حرية الاختيار عند الإنسان . فقد اختار الإنسان أن يضع نهاية لحياته .. أي اختار الموت من خلال اختياره للخطية ، حينما قبل إغواء الحية ، كما يخبرنا التكوين ، فكيف إذاً نلقي بمسؤولية الموت على الخالق ؟

لكن وقد جاء المسيح وهدم الموت ، فقد اقتلع الخطية ، وأبيدت كافة الخطايا ، ويصبح قول الرسول بولس ذا دلالة "أسلم من أجل خطايانا" أي دان الخطية ، وأباد الموت بالصليب والقيامة .

2- هل يوجد ما يُسمى ب: "ملاك الموت، عزرائيل"،ومن الذي يقبض أرواح البشر؟ .

يذكرالكتاب المقدس أن الملائكة مخلوقات عاقلة أعلى من الإنسان في الطبيعة والقوة ، ومع أن الملائكة أعظم وأسمى وأقوى من الإنسان في المعرفة إلا أنهم ليسوا كليي الوجود أو كليي المعرفة وليسوا كليي القدرة ، ومع ذلك فلهم علاقات مختلفة بالإنسان في تاريخ الخليقة وأعمال العناية الإلهية ، ويطلق الكتاب المقدس على الملائكة "أرواحاً" و"ملائكة" ويصفهم بسمو القوة واختلاف الدرجات ، ويقول إنهم امتحنوا وسقط بعضهم ، فانقسموا قسمين : أخيار وأشرار . فالأخيار يخدمون العزة الإلهية ويقومون بأعمال العناية ، خاصة ما يتعلق منها بالمقاصد الأزلية في عمل الفداء منذ بدايته على الأرض وحتى نهايته في الدينونة .

أما عن معنى كلمة ملاك فمعناها الأول واحد في اللغات العبرية واليونانية والعربية وهو "رسول" واستعملت في الكتاب المقدس لكل ما يستخدمه الله لإجراء مقاصده وإعلان ذاته وقوته ، فجاءت فيه بمعنى "رسول عادي" أي إنسان أستخدم كرسول .

كما جاءت بمعنى "نبي" ، "كاهن" ، "خادم العهد الجديد" . واستعملت أيضاً لغير العاقل "كعمود السحاب" ، "الرياح" . كما سُمى الظهور الإلهي "ملاك الرب" ، "ملاك حضرته" ، "ملاك العهد" وسميت الأوبئة "ملائكة أشرار" ، ودعا بولس الشوكة في جسده "ملاك الشيطان" . وقد أرسل الله ما أطلق عليه "المهلك" إما لإنزال عقاب على البشر، وإهلاك مدنهم ، أو لقبض أرواحهم ، فقد أرسل "المهلك" لإبادة مدينتي سدوم وعمورة . وقد يكون هو نفسه "ملاك الهاوية " المذكور عنه في سفر الرؤيا .

وبدراسة الكائن أو الملاك المهلك في الكتاب المقدس ، نقرأ عن الملاكين الذين ظهرا بهيئة رجلين للوط ، وكلماه عن أن الله أرسلهما ليُهلكا المدينة .

ولكن كلمة "ملاك" اشتهرت باستعمالها للتعبير عن الأرواح السماوية التي يستخدمها الله لتحقيق إرادته (متى 31:25) فعرفوا باسم "ملائكة الله" كما نعرف أن الملائكة جماعة مرتبة ومنظمة لها قيادات من :رياسات وسلاطين وأجناد ، ومع أن الكتاب المقدس لم يذكر أسماء قيادات أو رياسات للملائكة عدا الملاك ميخائيل الذي جاء عنه أنه رئيس ملائكة ، إلا أن أخنوخ وهو من الأسفار الأبوكريفية ذكر أسماء ستة ملائكة أخر ذوي سلطة ، هم : أورئيل ، رافائيل ، راجوئيل ، سارئيل ، جبرائيل ، ريمئيل .

بعد هذه الدراسة المقتضبة عن الملائكة في الكتاب المقدس ، لا نجد أي ذكر لما يُسمى أو يطلق عليه "عزرائيل" أو "ملاك الموت" ، ويبقى السؤال :من أين جاءت تسمية ملاك باسم :"عزرائيل" ؟ وما علاقة هذه التسمية بالموت ، وقبض أرواح البشر ؟

بالدراسة نجد أن أصل تسمية "عزرائيل" وعلاقته بالموت وقبض أرواح البشر ، يعود لما يُطلق عليه "إله الموت" في بعض الديانات الوثنية القديمة ومنها الفرعونية ، وبالرغم من اندثار هذه

الديانات ، إلا أن بعضاً من رواسبها لايزال متغلغلاً في التراث الشعبي ، ومتداولاً في الأفكار السائدة عند بعض الشعوب .

ومن المعروف أن إله الموت عند المصريين القدامى كان اسمه "أوزوريس" وتلك هي الترجمة اليونانية للاسم المصري الأصيل وهو "عزير" حيث تنقلب العين إلى همزة فيتحول اللفظ المصري "عزير" إلى "أوزير" في اليونانية ، وكما نعرف أن اليونانية تضيف حرف السين ، فيتحول اسم "عزير" المصري القديم ، إلى "أوزريس" في اليونانية،وهكذا انتشر الاسم وعرف بصورته الحالية.

وقد كان المصريون القدماء يعبدون آلة متعددة منها "عزير" ونشأ بنو إسرائيل في مصر القديمة وتأثروا بعبادات المصريين القدماء ، ويبدو أن عبادة "عزير" إله الموت عرفت طريقها إلى تقاليد اليهود فنسبوه لله إذ أضافوا للاسم "عزير" كلمة "ئيل" وتعني إله فأصبحت الكلمة "عزيرائيل" وإسرائيل يعني عبد الله .. ثم تسرب ذلك للتراث عند المسلمين مع تحريف بسيط إذ أصبح "عزيرائيل"، عزرائيل فقط ، ولم يعد إلهاً للموت أو ابناً لله وإنما أصبح فقط ملك الموت الذي ترتعب منه الأفئدة وتخشاه القلوب أكثر من خشيتها لله .

أما في المسيحية فلا ذكر لأي ملاك يُسمى "عزرائيل" أو "ملاك الموت" فإن الذي يحمل أرواح القديسين هو الرب يسوع المسيح نفسه ، حيث يقول المسيح بفمه الطاهر :"وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً آتي أيضاً وآخذكم إليّ حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً" (يوحنا 3:14) . أو بعض من الملائكة المرسلة لذلك الغرض ، كما نقرأ في قصة الغني ولعازر "فمات المسكين وحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم" (لوقا22:16) .

3- هل هناك وجود لما يُسمى "المطهر" ؟

تتلخص عقيدة "المطهر" في الاعتقاد بأن ، نفوس الأموات الذين ماتوا في حالة النعمة ، من دون أن يكفروا عن جميع خطاياهم تمر بمرحلة تطهير تسمى "المطهر" ، وفيها يُمنح الإنسان الذي يصل لمرحلة الصلاح التي تتوافق مع قداسة الله في السماء ، الفرصة للتطهير بالعقاب للتكفير عن خطاياه التي لم يُكفر عنها بعد ، ومدة هذا المطهر غير محددة بوقت ، فقد تستمر نفس الإنسان في المطهر لبضعة سنين أو لملايين السنين ، وهذا مرتبط بالخطايا التي ارتكبها هذا الإنسان في حياته ونوعيتها ، كما يمكن تقصير وتخفيف العذاب في المطهر بواسطة صلوات المؤمنين الذين مازالوا على قيد الحياة .

والواقع أن هذه العقيدة ليس لها أي سند كتابي في الكتاب المقدس ، وإنما تقوم على بعض الآيات الواردة في سفر أبو كريفي هو سفر "المكابيين الثاني" حيث وردت مسألة رفع الصلوات وتقديم القرابين من أجل الموتى حتى يتحرروا من قيود الخطية .

كما أن هذه العقيدة لم تكن معروفة في الكنيسة الأولى على الإطلاق ، وكانت غريبة على الرسل والآباء الأولين ، بالإضافة لذلك تعتبر هذه العقيدة مناقضة لقول المسيح للص التائب :"الحق أقول لك : إنك اليوم تكون معي في الفردوس" (لوقا42:23) ، فإذا كان المسيح نقل هذا الإنسان ـ الذي

عاش حياته في الخطية ومات كلصٍ ـ في لحظة واحدة إلى الفردوس ، فكيف للبعض أن يقول بعقيدة "المطهر" ؟

4 ـ ما هو الفرق بين كل من : الهاوية .. الجحيم .. الفردوس .. جهنم ؟

الهاوية أو شيول :

هي مقر سكنى المنتقلين من هذا العالم ، وفي ترجمة KJ تم ترجمة كلمة "شيول" العبرية إلى 65 مرة بثلاث كلمات مختلفة ، فقد ترجمت "شيول" 31 مرة كـ "قبر" وترجمت 31 مرة كـ "جحيم" وترجمت 3 مرات كـ "حفرة" .

ولقد استخدم كتاب الأسفار المقدسة أجف العبارات للدلالة على "شيول" مكان سكنى الموتى ومن يقيمون هناك ، فهي أرض الظلمة والنسيان وهي أرض السكوت ، وكان الاعتقاد اليهودي المبكر إن "شيول" تقع في عالم سفلي تحت سطح الأرض ، وهي مكان واقعي وحقيقي ، ولها آلهتها وقوانينها ويسودها الظلام وسكانها من الأشباح يتخبطون في تعاسة ، ولأن عالم الموتى خارج حدود دائرة جبروت يهوة ، فلا سلطان ليهوة على هذا العالم السفلي .

وكان نتيجة هذا الاعتقاد أن اليهودي المتدين يرى في الموت انفصالاً عن الله ، لذلك كان حزقيا لا يريد الموت وفي مرضه المميت خاف أن يكون الموت سبباً في انفصاله عن يهوة ، فكتب :"لأن الهاوية لا تحمدك . الموت لا يسبحك . ولا يرجو الهابطون إلى الجب أمانتك" (إشعياء 18:38) .

ولقد تطور الفكر اليهودي إلى حقيقة أن الله له كل السلطان على السموات والأرض وما تحت الأرض ، وقد كان الدافع الحقيقي وراء تطور هذا الفكر هو إمكانية تحقيق العدالة ، فليس من المعقول أن يفلت المذنب من العقاب لأنه غادر عالم الأحياء ، لقد تحولت الهاوية من أرض الظلام والنسيان ومكان بلا معنى ولا هدف إلى مكان تحقيق العدالة الإلهية ، حيث الثواب والعقاب .

وتعتبر كلمة "الهاوية" الكلمة الأكثر استخداماً في العهد القديم للإشارة إلى الحياة الثانية بعد الموت ، والهاوية لا تعبر عن مكان واحد تجتمع فيه نفوس الأبرار والأشرار ، لكن هناك مكانين منفصلين عن بعضهما ، واحد تجتمع فيه نفوس الأبرار، والآخر تجتمع فيه نفوس الأشرار .

الجحيم :

يستخدم العهد الجديد كلمة "جحيم" في العربية كترجمة لكلمة "هادس Hades" اليونانية ، والتي هي أيضاً ترجمة لكلمة "الهاوية" العبرية ، وبالدراسة يمكن اعتبار أن ترجمة هذه الكلمة إلى العربية ترجمة غير دقيقة ، لأن كلمة "الجحيم" قد تكون أقرب إلى جهنم في المعنى الظاهري ، أما "هادس" فهي مكان لأرواح الموتى الأشرار ، ولا شأن لها بالنار من قريب ولا بعيد ، لذا كثيراً ما يساء فهم كلمة الهاوية أو الجحيم ، فهي تستخدم بكيفية غير صحيحة ، لتكون بمثابة كلمة مرادفة لنار جهنم .

وكلمة "هادس" تقترب في جميع أسفار العهد الجديد بالموت ، وهي تعبر عن المفهوم العام للعالم غير المنظور ، أو المكان الذي تذهب إليه أرواح الموتى مباشرة بعد الموت .

وقصة الغني ولعازر التي تحدث عنها المسيح في (لوقا16)، تعطي تأكيداً قوياً ، وتعزز الفكرة اليهودية ، من أن هادس تتكون من قسمين مختلفين ، لكنهما قريبين من بعضهما البعض . فالأشرار محصورون في القسم الأول للعذاب ، والصالحون ينعمون في القسم الثاني بالحياة الأبدية ، والمسمى "حضن إبراهيم" ، وهو المكان الذي وصف بأنه الفردوس ، الذي وعد به السيد المسيح اللص التائب ، الذي صلب مع المسيح (لوقا43:23) .

إذاً لا فرق بين كلمة "هاوية Sheol " في العبرية ، وبين كلمة "الجحيم Hades" في اليونانية ، لا في المعنى ولا في المفهوم ، وكلاهما يشير لمملكة الأموات ، أو المكان الذي ستذهب إليه أرواح الموتى بعد انفصالها عن الجسد ، وقد اجتاز المسيح بموته هذه المملكة واستطاع أن يحول طبيعة هذا المكان الذي كان مسكناً للأبرار والأشرار ، إلى مكان واحد للأشرار فقط ، لأن أرواح الأبرار تذهب مباشرة إلى السماء .

الفردوس :

ما هو المقصود بـ "الفردوس" إذن ؟ وهو المصطلح الذي استخدمه المسيح في قوله للص التائب :"اليوم تكون معي في الفردوس" ؟

إن كلمة الفردوس Paradises فارسية الأصل ، استعارها اليونانيون من الفرس ، ومن بين ما تعنيه هذه الكلمة ، هو حديقة ، متنزه ، أرض مسيجة ، ملآنة بكل نبات أخضر في الأرض .

والكلمة "براديس" جاءت في أسفار العهد القديم ، حيث طلب نحميا من الملك أن يعطيه رسالة لآساف لحارس فردوس الملك ليعطيه خشبا" ، أما عن استخدامات اليهود المتأخرة للكلمة ، وخاصة أسفار العهد الجديد قبل موت وقيامة المسيح ، فقد استخدمت كلمة فردوس تعبيراً عن المكان الذي يستقر فيه الأبرار بعد الموت ، حيث حياة النعيم والسعادة بعد الموت ، وكان استخدام هذه الكلمة كمرادف لكلمة "الهاوية" ولكن في مفهومها الإيجابي الذي يعبر عن مكان وحالة الأبرار بعد موتهم ويبقى استخدام كلمة "الهاوية" بمعناها السلبي تعبيراً مقصوراً عن المكان والحالة التي يكون عليها الأشرار بعد موتهم .

ويكتسب تعبير "فردوس الله" معنى الفردوس السماوي ، حيث أرواح الأبرار تسكن مع الله . وبالمقارنة مع (2كورنثوس12 : 2، 12 :4) نرى أنها دعيت بالسماء الثالثة .

وهذه إشارة إلى أن السماوات ثلاث ، السماء الدنياHemisphere والسماء الوسطى أو الفلك Firmament والسماء العليا أو العظمى Superior heavenهي مسكن الله مع الملائكة مع الأرواح الممجدة ، الفردوس الروحي .

جهنم :

لا ترد كلمة "جهنا " اليونانية أو جهنم حرفياً في أسفار العهد القديم ، لكن يمكن أن نجد تلميحاً لها فيما جاء في إشعياء ،"من منا يسكن في نارٍ آكلة ؟ من منا يسكن في وقائد أبدية؟" (إشعياء14:33) .

بينما وردت كلمة "جهنم" في أسفار العهد الجديد ، اثنتي عشر مرة ، وكثيراً ما تعطي الأناجيل صوراً قاتمة مرعبة عن جهنم ، فقد وصفها يسوع على أنها: "أتون نار" ، "مكان تعذيب الجسد والنفس" ، "مكان عُزل عن حضرة الله" ، "مكان ظلام قاتم" ، "مكان للبكاء وصرير الأسنان" ، "مكان لعقاب متفاوت الدرجات" ؛ كما وصف رسل المسيح ،جهنم على النحو التالي :"مكان السخط والغضب والشدة والضيق" ، "لهيب نار وخراب أبدي بعيدا عن حضرة الرب" ، "الدينونة الأبدية"

وأما عن أصل التسمية "جهنم" ، فهي جاءت من وادٍ مشهور كان يُسمى "وادي بن هنوم" وكان هذا الوادي مشهوراً بالممارسات الشريرة والعبادات الوثنية المقيتة . وكان يدعى الوادي " .

وفي أيام تجسد المسيح ، كان "وادي هنوم" يستخدم كمكان لإلقاء النفايات والقاذورات وجثث الحيوانات والمجرمين ، بعيداً عن أورشليم ، وكانت أيضاً الديدان تعمل في الأوساخ ، كما كانت الكلاب الضالة تنبح وتتقاتل على النفايات . وهكذا كنت دائماً ما ترى النار مشتعلة في هذا الوادي ، ومن هنا ولدت كلمة "جهنم" ، أي وادي هنوم ، حيث البكاء وصرير الأسنان ، وحيث النار الأبدية والعقاب الدلئم للخطاة .

ويوضح تعليم المسيح ، حقيقة وجود جهنم كمكان عقاب أبدي لفاعلي الشر . ويستخدم المسيح صوراً معبرة لوصف نار جهنم ، حيث يقول عنها أنها :"ظلمة خارجية ، نار لا تنطفئ ، أتون متقد ، يصرخ فيه الناس ، ويصرون بأسنانهم ، المكان الذي يهلك فيه الله ، النفس والجسد" ونار جهنم تشكل جزءً جوهرياً من تحذيرات المسيح الشخصية عن الخطيئة ، وسلطانها . والحقيقة ، فقد أعلن المسيح ، أنه هو وحده ، الذي سينطق بالحكم الرهيب يوم الدينونة العظيم ، قائلاً :"اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المُعدة لإبليس وملائكته" (متى41:25) .

وبالرغم من أن "جهنم" ، لا يسكنها في الوقت الحاضر ، أحد غير أنها ستعد لاحقاً لتكون المثوى الأخير للأشرار ، والوحش والنبي الكذاب ولإبليس وملائكته ، وعليه فإن جهنم بحسب تعليم العهد الجديد ، هي المكان الدائم والأبدي لسكنى جميع الأشرار الذين سيدانون في الدينونة الأخيرة امام عرش الله . حيث ستفتح أبواب جهنم أو بحيرة النار والكبريت ، للمرة الأولى ، وسيلقى فيها الوحش أو عدو المسيح ، وكذلك النبي الكذاب . والشيطان نفسه ، كذلك سيلقى في "جهنم" الملائكة الخطاة .

السماء :

السماء مكان موجود بالفعل ، وقد ذكرت كلمة "السماء" في العهد الجديد وحده أكثر من 276 مرة ، ويخبرنا الكتاب المقدس أن السماء إنما هي عرش الله . وهي المكان الذي قصده المسيح بعد قيامته وظهوره على الأرض لتلاميذه .

ويشير الكتاب المقدس إلى ثلاثة سماوات ؛ كان الرسول بولس "اختطف هذا إلى السماء الثالثة" ولكن لم يُسمح له بالإفصاح عما رآه وأختبره هناك (2كورنثوس12: 1-9) .

فإن كان هناك سماء ثالثة لابد وأن هناك أيضاً سماء أولى وثانية . والأولى غالباً ما يشار إليها في العهد القديم بما هو وصف قوس ممتد فوق أرضنا ، أو سماء الطيور حيث تطير الطيور ويُغلفها السحاب ، أما السماء الثانية فهي الفضاء الخارجي ، وهو مكان المخلوقات الخارقة للطبيعة مثل الملائكة والأجرام السماوية .

أما السماء الثالثة ، التي لا يعرف موقعها أحد ، فهي عرش الله ، ومكان راحة قديسي العلي الذين آمنوا بعمل الله في المسيح ، حيث وعد المسيح تلاميذه أنه سيذهب ليُعد لهم مكاناً .

وأفضل ما في السماء هو رؤية شخص ربنا ومخلصنا يسوع المسيح . فإننا سنرى حمل الله وجهاً لوجه ، هذا الذي أحبنا وضحى بنفسه من أجلنا حتى يمكننا أن ننعم بصحبته للأبد .

5 ـ ما هو موقف المسيحية من الموت انتحاراً ... أو استشهاداً؟

لابد أن نؤكد أن هناك فرقاً بين الموت انتحاراً والموت استشهاداً ، ومع أن هناك شبه اتفاق على أن الموت انتحاراً هو أن يقرر الإنسان بنفسه إنهاء حياته ، إلا أن الاستشهاد يختلف معناه وكيفيته من مجتمع إلى مجتمع ، ومن دين لآخر ، والأمر المؤكد أن طريقة موت الإنسان ليست هي العامل المحدد لمصيره بعد الموت ، بل ما يؤمن به وأسلوب حياته التي عاشها على الأرض .

والإنسان الذي يقدم على الانتحار إنما هو إنسان غالباً ما يعاني من الاكتئاب والاضطرابات والأزمات النفسية التي تجعله مضطرباً أو مرتبكاً حتى أنه يُقدِم على التخلص من حياته وإنهائها .

لكن الكتاب المقدس ، يعلمنا أن الانتحار ليس هو العامل الذي يحدد دخول الإنسان إلى السماء ؟ فإذا كان الإنسان المنتحر خاطئاً، فإنه يكون بذلك الانتحار إنما قصر رحلته إلى حيث العذاب الأبدي ، ولكننا يجب أن ندرك أنه في هذه الحالة ليس لكون هذا الإنسان مات منتحراً ذهب إلى العذاب الأبدي ، إنما لكونه في الأصل شريراً وخاطئاً ولم يختبر نعمة الله والإيمان بشخص المسيح من قال عن نفسه :"أنا هو الطريق والحق والحياة . ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي" (يوحنا14:6) أما إذا كان الشخص المنتحر مختبراً لنعمة الله ومحبته وخلاصه وفدائه الأبدي ، فإن الانتحار ومع أنه يبقى خطأ مميتاً اقترفه ذاك الإنسان ، فالانتحار هو قتل لنفس خلقها الله ، وبذلك يكون الانتحار خطية ، ومع أننا لا نقلل من شأن الانتحار كخطية في نظر الله ، إلا أننا نعلم من الكتاب المقدس أن الإنسان الذي احتمى في دم المسيح ، وشملته رحمة ونعمة الله ، وتأكد من خلاصه ، فكل خطية قد بُرر منها ، وأصبح بريئاً ومبرراً أمام الله ، ولا يأتي إلى دينونة ، والخطية الوحيدة التي علمنا الكتاب المقدس أنها لا تغتفر هي خطية التجديف على الروح القدس (متى12:31). ويبقى أن الإنسان لا يذهب إلى السماء لأنه لم يرتكب خطية ، ولا يوجد إنسان لا يذهب للجحيم لأنه لم يرتكب خطية ، فإن الإنسان يتمتع بالحياة في السماء لأن المسيح مات بدلاً عنه ، ودفع ثمن خطاياه ، ولأن ذلك الإنسان قَبِل بالإيمان عمل المسيح لأجله ، وإذ تعرض إنسان لضغوط أدت به لإنهاء حياته

وارتكاب خطية قتل نفسه ، التي مات أيضاً المسيح لأجل غفرانها ، فإن رحمة الله وغنى نعمته وتفهمه لأعماق النفس البشرية لا تجعله كمن يقف بالمرصاد لإبعاد إنسان ـ عاش في الإيمان ـ عن الحياة الأبدية مع المسيح .

أما الاستشهاد فإنه أمر مختلف تماماً عن الانتحار ، فالشهيد في المسيحية لا يُنهي حياته بنفسه ، ولا يرتكب عملاً ـ طمعاً في جنة أو تخلصاً من شقاء أرضي ـ يؤدي لموته أو موت آخرين معه ، لكن تبقى رغبة الشهيد المسيحي أن يحيا أطول فترة ممكنة ليخدم المسيح ويساعد على امتداد ملكوت الله بهداية الناس للبر والخلاص الذي في المسيح ، وإذ تصطدم هذه الرغبة مع كراهية ووحشية من لا يريدون مجد الله ، ولا يدركون نعمته ومحبته ، فغالباً ما تصبح حياة هذا الإنسان هدفاً لخططهم الشريرة ، ولا يعرفون سبيلاً للتخلص من الإنسان المسيحي المؤمن إلا بقتله .

6ـ إلى أين سيذهب الأطفال بعد موتهم ؟

مع أن الإجابة على مثل هذا التساؤل ليست بالأمر اليسير إلا أن الحقيقة الكتابية التي تواجهنا في هذا الأمر هي أن جميع البشر خطاة ، سواء كانوا أطفالاً أو كباراً، رجالاًأو نساء ، يقول الكتاب :"الكل قد زاغوا معاً فسدوا . ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد" (مزمور3:14) ، ولا يستثني الأطفال أو الرضع من هذا "الكل" ، حتى أن النبي داود يُصرح بهذه الحقيقة قائلاً :"هئنذا بالإثم صورت وبالخطية حبلت بي أمي" (مزمور5:51) .

لكن الحقيقه الكتابية الأكثر روعة ، هي :"أن المسيح مات من أجل خطايانا ..."
(1كورنثوس3:15)، و"أقيم لأجل تبريرنا" (رومية25:4)، وموت المسيح كان تأكيداً بليغاً لمحبة الله للبشر الخطاة ، فلم يكن موت المسيح من أجل الأبرار فليس بار ليس ولا واحد ، بل مات المسيح من أجل الخطاة .

إن موت المسيح كان كافياً لتغطية كل الخطايا ، وليس فقط خطايا الذين يؤمنون به . إن عمل المسيح الكفاري لأجل الإنسان يحرر الإنسان من أجرة خطية آدم ، لقد صارت الهبة إلى جميع الناس لتبرير الحياة ، وهكذا أصبح الأطفال والرضع وغير الآهلين ، مبررين ولهم الحياة في المسيح .

إن عدل الله لا يعاقب ولا يدين الإنسان مرتين على ذات الجرم ، فالإنسان الذي بررره المسيح ، ورفع عنه العقاب والموت الروحي نتيجة خطية آدم لن يعود الله ويطلب منه قصاصاً آخر ، والأطفال والرضع وغير الآهلين قد حررهم المسيح وبالتالي لن يدفعوا ثمن خطية دفع المسيح ثمنها بموته وكفارته المقبولة على الصليب .

كما نرى في حياة المسيح ما يؤكد أن للأطفال مكانة خاصة عند الله ، فقد قال المسيح لتلاميذه حينما حاولوا أن ينتهروا الأطفال حتى لا يقتربوا منه :"دعوا الأولاد يأتون إليّ ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت الله . الحق أقول لكم : من لا يقبل ملكوت الله مثل ولد فلن يدخله" (لوقا18: 16،17)

ويبقى السؤال مطروحاً : إلى أي عمر يعتبر الطفل محمياً في عمل وخلاص المسيح ؟ أو ما هو العمر الفاصل بين أن يكون الإنسان طفلاً غير مسؤول عن أعماله وأفعاله ، وأن يكون ناضجاً ومسؤولاً عن أفعاله ؟

إن سن المساءلة يختلف من طفل إلى آخر ، والله وحده الذي يعرف متى يُدرك الطفل أفعاله ، ومتى يمكن للطفل أن يتخذ قراراً مع أو ضد الله ، في هذا الوقت يبدأ الله في محاسبته على أفعاله كشخص مسؤول عن أفعاله ، ويبقى عدل الله ورحمته وغنى نعمته تفوق كل تصوراتنا البشرية ، وأننا ندرك من كلمة الله أن الله لا يقف بالمرصاد ليرسل البشر إلى الجحيم ، إنما هو :"الذي يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون" (1تيموثاوس 4:2) .

7ـ هل حدد الله عمراً للإنسان ؟ أم حدد يوماً لموته ؟ هل عمر الإنسان محدد أم محدود ؟

يعتقد كثير من البشر أن الله حدد أيام وسني عمر الإنسان ، وبالتالي يكون الله حدد مكان وزمان موت الإنسان ، ومع التسليم بحقيقة أن معرفة الله لمثل هذه الأمور معروفة منذ الأزل ، إذ يقول :"حتم بالأوقات المعينة وبحدودٍ مسكنهم" (أعمال17:26) ، ولا يخفي عن علمه السابق وعن قضائه شئ ؛ إلا أن هناك عوامل متداخلة في تنفيذ قضاء الله .

ومع إيماننا أن عمر الإنسان محدود ، أي لا يمكن أن يستمر الإنسان خالداً في الأرض ، ولا يرى الموت ، فقد قال الكتاب المقدس :"وضع للناس أن يموتوا" (عبرانيين27:9) ، لكن الكتاب المقدس يخبرنا أيضاً أن هناك عوامل أخرى يمكن أن تتدخل أو يستخدمها الإنسان في إطالة أو تقصير عمره على الأرض ، إن طاعة الوصية أو عدم طاعتها يؤثر بشكلٍ مباشر في طول أو قِصر عمر الإنسان على الأرض ، كما أن قوانين الطبيعة ، والحرية التي منحها الله للإنسان في اختياراته توثر سلباً أو إيجاباً على طول أو قِصر عمر الإنسان ، فمثلاً :"القتل ، الانتحار، حوادث السير والسيارات الناتجة عن الإهمال أو الروعنة ، أو عدم احترام القوانين" كل هذه تؤثر حتماً في تحديد عمر الإنسان ، الذي هو بطبيعته محدود .

إن على الإنسان مسؤولية جنائية أمام الله عن القتل والإهمال والتهور الذي يتسبب في إنهاء حياة إنسان وكذلك هناك مسئولية على المنتحر وإلا لكان الله مسؤولاً عن كل قتل خطأ أو متعمد ولا يجب محاسبة الإنسان المتسبب ـ حتى في القوانين الوضعية والمدنية ـ باعتبار أن الله هو الذي حدد يوم وكيفية موت كل إنسان بما في ذلك الميت مقتولاً أو منتحراً . بمعنى آخر نستطيع القول أن للإنسان القدرة على تحديد عمره الذي يعيشه على الأرض .

وماذا بعد أن عرفت ؟؟؟؟؟؟؟؟؟

"جميع البشر موتى" ، هذه هي الحقيقة التي لا جدال فيها ، ولا خلاف عليها ، وقد أثبت التاريخ أن جميع البشر لابد وأن يعبروا يوماً ما بوابة الموت إلى عالم الأبدية اللانهائي ، تلك الحياة الأبدية

يمكن للإنسان أن يحدد نوعيتها وموقعه فيها بحياته التي يحياها على الأرض ، هذا بالرغم من قصر حياته الأرضية .

وقد شبه الكتاب المقدس حياة الإنسان بعدة تشبيهات جميعها يؤكد قصر حياة الإنسان ، من هذه التشبيهات "البخار ، القصة ، العشب ، الظل ، الخيال ، النفخة ، أشبار" ، ومع قصر حياة الإنسان لهذا الحد ، إلا أنها في أعظم وأفخر صورها رديئة وكلها تعب وبلايا ، وما من شك في أن أحداً لا يعرف الساعة التي تُطلب نفسه فيها ، فيموت ويُغادر حياة الأرض ، وكم يتمنى الإنسان أن يعرف نهاية حياته على الأرض .

وبالرغم من أن الله جعل الإنسان يشعر باقتراب الأبدية ، وإن الحياة قصيرة بالنسبة لما يريد أن يحققه الإنسان أو ينجزه فيها ، فمن السهل وسط مشغوليات الحياة وعدم الاكتراث بالحياة الأبدية أن ينسى الإنسان مدى قصر حياته على الأرض ، وأن هذه الحياة على قصرها فهي مدخل الإنسان الذي يختار من خلاله نوعية الحياة الأبدية التي سيعيش فيها عمره الأبدي .. لذا ما أصدق تلك النصيحة التي نقرأها في كلمة الله ، ".. استعد للقاء إلهك .. " (عاموس 12:4) ، إن الإنسان لابد يوماً سيقف بين يدي الله الديان ، وفي هذه النصيحة دعوة لكل إنسان أن يستعد لتلك الساعة واليوم الذي يقف فيه وحيداً بين يدي الله العادل ، الذي سيدينه عن كل جرم وخطيئة وعمل وقول ، وما أرهب تلك اللحظات التي سيقول فيها هؤلاء :"للجبال والصخور :"اسقطي علينا وأخفينا عن وجه الجالس على العرش وعن غضب الحمل ، لأنه قد جاء يوم غضبه العظيم . ومن يستطيع الوقوف؟" (رؤيا 6 : 16،17) .

لقد هزم المسيح الموت ، ودان الخطيئة ، ويؤكد الكتاب المقدس هذه الحقيقة فيقول : "لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه في ما كان ضعيفاً بالجسد فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية ولأجل الخطية دان الخطية في الجسد" (رومية 3:8) ، ولقد أصبح الإنسان الذي قبِل المسيح وآمن بعمله الفدائي على الصليب وكفارته لأجله حراً من دين الخطية ، لا يخشى الموت إذ يعتبره بوابة المرور للأبدية السعيدة .

والرائع في الأمر ، أن رغبة وإرادة الله هي أن يتمتع الإنسان بالحياة في المسيح وبالخلاص الذي أعده الله لجميع البشر ، هذا الخلاص يشمل في طياته انتصار الإنسان على الخطيئة والموت ، وإرادة الله هذه يقدمها لجميع البشر من خلال الإيمان بالمسيح ، وبعمله الكفاري لأجلنا جميعاً ، يقول الكتاب :"وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه" (يوحنا1:12) ، هذا الإيمان لا يتوقف على عملٍ يقوم به الإنسان ، ولا بقيمة مالية يدفعها لقاء خلاصه ، ولا بممارساتوشعائر دينية خاصة ، لكنها فقط قبول لنعمة الله ، يقول رسول المسيحية بولس :"بالنعمة أنتم مخلصون ، بالإيمان ، وذلك ليس منكم . هو عطية الله . ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد " (أفسس 2 : 8،9) .

هذه هي رغبة الله ، فهل تتلاقى رغبتك مع رغبة الله فتنعم بحياة أبدية سعيدة ؟ وهل تقبل في حياتك القصيرة نعمة الله هذه فتتمتع برفقته والقديسين وجميع المؤمنين عبر الأزمان وتسعد معه بالحياة في تلك السماء التي أعدها الله ليسكن فيها مع شعبه إلى الأبد ؟